تصوير ابو عبدالرحمن الكردي

الرحلة الأنورية

إلى الأصقاع الحجازية والشامية

سنة ١٩١٤م

www.iqra.ahlamontada.com
منتدى إقرأ الثقافي



تأليف

محمد كرد علي

الدار العربية للموسوعات

لتحميل انواع الكتب راجع: (مُنتَدى إقرَا الثقافِي)

براي دانلود كتابهاى مختلف مراجعه: (منتدى اقرا الثقافى)

بۆدابەزاندنی جۆرەها کتێب:سەردانی: (مُنتَدى إقرَا الثقافِي)

www. Iqra.ahlamontada.com



www.iqra.ahlamontada.com

للكتب (كوردى , عربي , فارسي)

الرحلة الأنورية

إلى الأصقاع الحجازية والشامية

سنة ١٩١٤م



الرحلة الأنورية
إلى الأصقاع الحجازية والشامية
سنة ١٩١٤م

وهي صفحات ضمّت شمل ما تفرّق من سياحة رجل العثمانيين
وبطل الإسلام والمسلمين صاحب الدولة والعطوفة أنور باشا
وكيل القائد الأعظم وناظر الحربية الجليل إلى المدينة المنوّرة وسورية
وفلسطين وما قيل من التنويه بأفضاله على الملة والدولة

تأليف

محمد كرد علي

عضو المجمع العلمي الملكي في مصر والمجمع العربي بدمشق

الدار العربية للموسوعات

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

٢٠٠٧م - ١٤٢٨هـ



الدار العربية للموسوعات

الحازمية - ص.ب: ٥١١ - هاتف: ٩٥٢٥٩٤/٠٠٩٦١٥ - فاكس: ٤٥٩٩٨٢/٠٠٩٦١٥

هاتف نقال: ٣٨٨٣٦٣/٠٠٩٦١٣ - ٥٢٥٠٦٦/٠٠٩٦١٣ - بيروت - لبنان

الموقع الإلكتروني: www.arabenchouse.com

البريد الإلكتروني: E-mail: info@arabenchouse.com

مؤسسها ومديرها العام : خالد العاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

منذ انبسط ظل الإسلام على الأرض، سلك الخلفاءُ والأمراء والوزراء في الصدر الأول والقرون الزاهرة بعده، مسلكاً كان فيه الغناء لجر المغانم إلى الأمة ورفع المغارم عنها، فكانوا يتصفّحون بأنفسهم شؤون الناس، وينظرون فيما يصلحهم مباشرة، ولذلك كانوا على أوفازٍ أبداً، يتنقلون في بلادهم، ويجتازون الفيافي والقفار، يهتمّون برفع الظُّلامات، اهتمامهم بتوسيع الفتوحات، ويُعنون بالماديات والمعنويات، عنايتهم باللدنيات والدينيات، يفارقون الأهل والولد، ولا يعلقون براحة ولا يشغفهم حب بلد، وقد ازدان صدر التاريخ بذكر تلك المفاخر والمآثر، وكان حقًّا على الاخلاف، أن يهتدوا بسيرة الأسلاف.

وما برح أهل هذه الملّة إلى اليوم وإلى ما بعد اليوم، يقرأون أسفار أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى القدس ودمشق، وتنقل عمر بن عبد العزيز الأُموي في مملكته، ومسير طارق بن زياد إلى الأندلس، وأسد بن الفرات إلى صقلية، وعبدالله بن أبي سرح إلى افريقية، وقتيبة بن مسلم إلى الصين، ومحمود بن سبكتكين إلى الهند، والخليفة المأمون العباسي إلى خراسان والروم ومصر والشام، وعبدالله ابن طاهر، وعبدالرحمن الداخل، ونور الدين محمود بن زنكي، وصلاح الدين يوسف بن أيوب، والظاهر بيبرس البندقداري، وألب ارسلان السلجوقي، ومحمد الفاتح، وسليمان القانوني،

وسليم العثماني وغيرهم ممن لم تشغلهم نضرة النعيم عن التدبر في حال بلادهم، ومدّ رواق الإسلام، على الأنام، وكفّ العوادي عن قومهم، وحماية ذمارهم، حتى سادوا الأمم، وغدت ملّتهم أرقى طبقات البشر لعهدهم، وأوسعها سلطاناً، وأكثرها أمناً وأماناً، وأوفرها مدنية وعمراناً، فظهر للملإ عدلهم وعلمهم وعملهم وكانوا خير أمة أُخرجت للناس في أخلاقهم الفاضلة، وعقولهم الراجحة، وتجارتهم الرابحة الناجحة.

وكثيراً ما كان بعض من رُزقوا حظًّا من الفهم والنظر في العواقب، يتلهّفون على انقطاع التجدّد في هذه الأمة منذ زمن ليس بقليل، خصوصاً وآمال المسلمين في القاصية والدانية معلّقة بالدولة العثمانية إذا هي نهضت نهض المسلمون كافة، قوّتهم بقوّتها وضعفهم بضعفها ولا رجاء لهم في البقاء إلّا إذا أتى الخير على أيدي القائمين بأعباء دولة الخلافة.

وبينا كاد اليأس يقضي على آمال العالمين منَّ الله سبحانه وتعالى بإخراج رجال من أكابر المخلصين في السلطنة لم تلههم زينة خليج دار الخلافة ومضيقها، ولا ذاك الهواء العليل، والمناظر الرائعة، والنعيم المقيم، وطيب العيش في تلك الأفياء والأرجاء، بل جعلوا دأبهم التفكر في نهضة الأمة، وإعادة سالف عزّها لها، والعمل على تجديد حياة الجامعة الإسلامية، وفي مقدمة أولئك الرجال، سيف الإسلام القاطع، وكيل أمير المؤمنين في قيادة الجيوش العثمانية هو:

أنور باشا

ناظر الحربية في الدولة العلية

فإنه أحيا سنة الخلفاء والعظماء، بسيرته الطاهرة، ووطنيته الباهرة، ورحلاته المتكاثرة.

نبغ هذا العظيم، والقوم نسوا أو كادوا مشخصاتهم، وصار أكثرهم إلى دركة من الانحطاط يُعدُّ معها العلم وساوس، والشجاعة تهوراً، والنظر في المستقبل فضولاً، وإعداد القوى للتغلّب على الخصم من سوء فهم عقيدة القضاء والقدر، وضعف النفس والرضا بالدون والمذلة، من الظرف والأدب وحسن السياسة، وإقامة الشعائر الدينية من إمارات الجمود وعدم الأخذ بنصيب من المدنية الحديثة، ولكنه أدام الله توفيقه عمِلَ عمل المستقل الفكر، القوي الإرادة، الواسع الأمل، فاستجاش أنصاراً إلى مذهبه، حتى أجمعت القلوب على حبّه، وأشربت النفوس احترامه، لكثرة ما تمَّ على يديه من الأعمال المجيدة، وتوفر جمهور المعجبين بنبوغه وعقله، وإخلاصه ورباطة جأشه، فنزع بالبرهان، ما علق من الأوهام في الأذهان، وقوى القلوب الميتة، ونهض بالنفوس المستخذية المستكينة، نعم أثبت قائدنا المحبوب أمام العالم أجمع بالمثال الحي الفعّال، كيف يجب أن يكون في الإسلام الأبطال.

وبعد فأي عمل نذكره له؟ أنذكر له الأحاديث المسلسلة في باب تفانيه، منذ وعى على نفسه، في خلع ربقة الاستبداد، وإعادة حكم الشورى في هذه السلطنة؟ أو نورد له سفره إلى طرابلس الغرب قبل ارتقائه إلى منصة الوزارة،

وتخلّيه عن أسباب الراحة، وافتراشه هناك الحجر والمدر، والتحافه العراء وقبة السماء، واكتساءه غليظ الثياب، وتبلغه بميسور العيش من طعام وشراب؟ أو نستشهد له بجهاده البليغ في حرب البلقان، وكف عادية العدو عن استباحة حمى دار السلطنة واسترجاع أدرنة، وما يرجع الفضل الأول إلّا إليه في الإبقاء على هذه العاصمة عثمانية صرفة؟ أو نعدّد له بيض أياديه في تنظيم الجيش الإسلامي وإعلانه الجهاد المقدّس عند مسيس الحاجة، وحزمه المدهش في الدفاع عن «جناق قلعة» وإنقاذ روح المملكة وعاصمتها؟ أو نشكر له مع رفاقه سعيه في محالفة أصحاب الشرف والنفوذ من الدول؟ كل ذلك معروف موصوف، يعرفه البعيد والقريب، ويتغنى به البغيض والحبيب، نُقش برمته في الصدور، قبل السطور، ولهجت به الألسن، ورجَّعت صداه الأفكار، حتى أمسى سمر الناس وحديثهم، ورضي به وعنهُ الله.

وكأنّا بحضرة القائد العظيم يردّد في روحه الطاهرة قوله تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ويمعن النظر في قوله عليه السلام «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته» فقد كان أعزه الله حريصاً قبل كل شيء على تجديد الشعائر الفاضلة التي ظهر بها الإسلام في بدايته، فاستقر رأيه العالي على زيارة مَعْلَم الخير مؤسس الملة الشارع الأعظم صلوات الله عليه، وتفقُّد الشؤون في البلاد الشامية[1] وما أُحدث فيها من قلاع وحصون، والبحث في حال جيشها في زمن حمي به وطيس الحرب العامة، وانقسم فيه العالم إلى قسمين متحاربين، ولم يحد منه سوى جزء من الممالك هو في حكم المحارب، والدولة العثمانية، أعلى الله بالنصر أعلامها، تحارب مع حلفائها حرباً لم يسبق لها مثيل في الأيام الغابرة، حرب لا توسُّط في نتائجها أما الحياة الطيبة أو الفناء الأكيد والعياذ بالله.

---

(١) درجنا هنا على اصطلاح علماء الجغرافية من العرب فإنهم إذا قالوا الشام يعنون به القطر الممتد من عريش مصر إلى الفرات فيدخل فيه اليوم لواء القدس وولاية بيروت وولاية سورية ولواء حلب ومتصرفية لبنان وبعض لواء الزور. وفلسطين داخلة في الشام المقصود هنا.

شَخَصَ قائد الجيوش المظفرة من دار الملك بعزيمته الصادقة، يحفه الوقار، وتشيعه المهابة، في جملة من رجاله وحاشيته، والقلوب تناجيه سبحان الذي منَّ على الإسلام بعميد مثلك، ووفقك لخدمة الجامعة المحمدية المقدسة، وحبّب إليك الاستماتة في إعلاء شأن الدولة العلية، وجعلك حيثما حللت سراجاً يستضاءُ به وسياجاً يحتمى دونه.

ولما كان في سياحة عظيم الدولة عظات سياسية اجتماعية دينية يعتبر بها المعتبرون، على اختلاف الأجيال والقرون، رأيت أن أتشرّف بالتأليف بين أجزاء أخبارها وآثارها في أرض الشام والحجاز تاركاً لأقلام من كتبوا وخطبوا في هذا المجال حريتهم، فإن نقل الشيء على حقيقته أدعى إلى تصوّر كل قائل بقوله، فلتمثل للأنسال القادمة حالة عصرنا ومبلغ أهله من الأفكار والآداب.

ولعلَّ من أُوتوا حظًّا من العقل السليم، يدركون من مغزى ما سيقرأون، أن المسلمين لم يعدموا في كل زمن رجالاً باعوا أنفسهم في سبيل الله، وسلبوا قرارهم ليوفروا لأمتهم سهمها من الراحة. وعسى الغرب الذي أساء ظنّه زمناً طويلاً بالشرق وأبنائه ولا سيما بالمسلمين منهم، يعود إلى الروية في حكمه على الإسلام والمسلمين ويعطي رجال هذه الأمة العثمانية حقوقهم من التجْلّة والاحترام، بل من الإعجاب والاعظام، فليس في الأرض من لم يسمع باسم أنور العثمانيين، وقرّة عيون الموحدين، ولكن من الأمم من نغلت قلوب رجالها أمراض الأغراض رجاءَ إرواء مطامعهم من هذا الشرق القديم فيغضون ممن رفع الله قدره، وأعلى أمره، وحفظ به بيضة الدين، والله نسأل في الختام أن يحفظ لنا هذا الرجل العظيم ويؤيد بفضله وعمل العاملين من إخوانه هذه الدولة المنصورة أبد الآبدين ودهر الداهرين آمين.



فاتحة المطاف

رحل صاحب الدولة أنور باشا وكيل القائد الأعظم وناظر الحربية العثمانية من دار الخلافة على القطار الحديدي فوصل بوزانتي في وسط جبال طوروس آخر يوم من شهر كانون الثاني على الحساب الشرقي سنة ١٣٣١ (١٣٣٤هـ) يرافق ركابه العالي بروانزار باشا رئيس أركان الحرب في نظارة الحربية والدكتور سليمان نعمان باشا رئيس الصحية العام في الجيش والجنرال بومبايه قودسكي ملحق النمسا العسكري وفون لوسوف ملحق المانيا العسكري وعلي بك من أعضاء شورى الدولة ومحود بك قائم مقام أركان حرب مدير المعسكر وعمر لطفي بك قائم مقام أركان حرب وفلدمان بك القائمقام ورئيس حُجّابه كاظم بك وممتاز بك وصفوت بك من حجابه وسيفي بك مدير الاستخبارات وغيرهم من رجاله الممتازين.

ولما وصل إلى بوزانتي استقبله صاحب الدولة أحمد جمال باشا قائد الجيش الرابع وناظر البحرية - وبوزانتي أقصى منطقة الجيش الرابع - وكان مع قائدنا جملة من رجاله أيضاً بينهم القائمقام فؤاد بك رئيس أركان حرب الجيش الرابع، فركب القادم الكريم مع أخيه ورصيفه قائد الجيش المرابط والغازي في هذه الديار على سيارة إلى طرسوس وكانت مزدانة بأبهى حللها من الزين احتفاءً بمقدم أنور الأمة ومحبوبها، وخرج جميع أهل هذه المدينة الجميلة لاستقباله ونزل في معسكر الفرقة وقبل تناول طعام الغداء فتش الفرقة

وعاد مسروراً مما رأى إلى المعسكر واستعرض في الليل أبناء المدارس والأهلين يحملون المشاعل بأيديهم. ومن الغد تحرّكت الركاب العالية إلى اطنة في القطار واستعرض الناظر هناك من يلزم وسرَّ سروراً خاصًّا من انتظام سرايا الكشافة من طلبة المدارس وذهب بعد إلى «طوبراق» قلعة وفتش الحصون المنشأة حديثاً وتناول طعام الغداء في المحطة وبعد الظهر ركب القطار إلى عثمانية وترجل فذهب من المحطة إلى المدينة وبات تلك الليلة في هذه القصبة ومن الغد ركب ورجاله السيارات فقطعوا جبل كاورطاغ إلى الإصلاحية ومن هنا ركب على قطار خاص إلى حلب بالعز والإقبال.

في حلب الشهباء

وصل القطار المقل رجل الإسلام أنور باشا إلى مدينة حلب على الطائر الميمون بعد الغروب، وكان أهلها على اختلاف طبقاتهم يرقبون طلعته الكريمة رقبة هلال العيد ولا عجب فقد كان قدومه عيداً عامًّا للبلاد كلها فاحتفلت حكومة الشهباء بالزائر الكريم بأقصى ما عندها من أنواع الحفاوة فمن كتائب الجند إلى سرايا الشرطة والدرك فالجلاوزة فطلبة المكاتب والمدارس وصنوف الطبقات العلمية والجندية والإدارية وفي مقدمتهم عطوفة والي حلب مصطفى عبدالخالق بك أما شوقي باشا قائد فيلق حلب فذهب إلى راجو لاستقبال الناظر المعظم ولما نزل من القطار حيّا المستقبلين أجمل تحية وحلَّ في نزل البارون.

وفي المساء، أقام والي حلب في هذا النزل ضيافة لدولته ودولة زميله أحمد جمال باشا حضرها رجال معية الرجلين وأقامت بلدية حلب من الغد في المكتب السلطاني ضيافة فاخرة لضيف البلاد حضرها القائد العام وقد ألقى الشيخ كامل الغزي من أساتذة الشهباء في الآداب قصيدة غرّاء كان لها الوقع الحسن وفاه سعادة نافع باشا الجابري عين أعيان هذه المدينة بخطاب تركي رحّب فيه بالقادم الكريم وأظهر عواطف الأهالي وقال إن القوم كانوا جميعاً في تشوّق تام لمشاهدة أنوار هذا البطل، وإن جميع الأحزاب والفرق منذ إعلان الحرب اجتمعت على مظاهرة هذه الوزارة الحاضرة والقيام بخدمتها، وإن كل من يقدر على حمل السلاح متطوّع أو مرابط في هذه الولايات مستعد للقاء كل

عدو. وبعد ذلك، خطب الأستاذ الشيخ أسعد الشقيري رئيس مجلس تدقيق المؤلفات الشرعية خطاباً بالتركية أعجب فيه وأغرب فقال انه أتى حلب لاستقبال الناظر العظيم باسم علماء سورية وفلسطين وأعيان المسلمين وأشرافهم وإن الأهالي عهدوا إليه في كل ولاية ولواء وقضاء أن يتنازل القادم الكريم لقبول دعوة علماء المسلمين وأكابرهم وزيارة بلدتهم وإن لمدينة حلب في تاريخ الإسلام شؤوناً وأطواراً. فمن مفاخرها القديمة أن دخلها صلاح الدين بن أيوب المجاهد العادل الكبير واستقرَّ ملكه فيها. ومن مفاخرها الجديدة في عصرنا هذا، زيارة بطل الإسلام قرة عيون الموحدين قائد جيوش المسلمين أنور باشا لها. وإن هذا اليوم سيكتب في تاريخها المجيد ويعدّ في سجل أيامها المسعودة، وإن العلماء كانوا يغبطون رجال العلم الذين تعلقوا في العصر الصلاحي بخدمة السلطان صلاح الدين يوسف حتى سهل الله لهم التشرّف بزيارة أنور باشا في دار الخلافة وتشريفه إلى هذه البلاد في الآونة الأخيرة فنالوا حظهم وبلغوا أمانيهم وستكتب خطبهم وقصائدهم في التاريخ الانوري كأسلافهم في التاريخ الصلاحي. وإنه كان حريصاً على أن يكون ابتداء كلامه في مدينة دمشق أو بيروت أو القدس إلّا أن أعاظم حلب دفعوه إلى إيراد الكلام والولايات كلها وطن عثماني واحد وأنه بصفة كونه من أفراد السوريين ناب مناب المسلمين في إيراد كلامه. وطلب من الله التوفيق لأمير المؤمنين ووزرائه والنصر والتأييد لجيوشه وأساطيله.

وبعد تناول الطعام، ذهب القائد الكبير مع أحمد جمال باشا ناظر البحرية إلى الدائرة العسكرية ثم إلى جامع سيدنا زكريا فاستقبله فيه علماء الدين ومشايخ الطرق وأشراف المدينة وقدموا المباخر بين يديه ولم يزل في هذه الحفلة الدينية من الباب حتى وصل إلى أمام ضريح سيدنا زكريا على نبينا وعليه أشرف السلام فقرأ العلماء بصوت جهوري سورة الإخلاص ثلاث مرات ودعا مفتي حلب محمد أفندي العبيسي دعاء لائقاً بالمقام ثم دخل القائد المرقد وزار مصحفاً كبيراً فيه بالخط الكوفي يظن أنه كتب على عهد خلافة سيدنا عثمان بن عفان ﷺ. وعلى أثر خروجه من الحجرة قدم له مفتي حلب كتاب البخاري على

رق حرير بخط جيد كتب منذ ثلاثمائة وخمسين سنة ليكون تاريخاً لزيارته مدينة حلب بعد أن تلا المفتي خطاباً بديعاً في تأثير زيارة هذا القائد العظيم.

وبعد ذلك زار المعاهد والثكنة والمعسكر والمستشفيات والأماكن العسكرية ورجع في الليل لحضور الوليمة التي أقامها في نزل البارون شوقي باشا قائد فيلق حلب وفي الصباح ركب دولة القائدين العظميين أنور باشا وجمال باشا في السيارات إلى بيلان (بغراس) حيث كان في استقبال دولته عطوفة فخر الدين باشا وكيل قائد الجيش الرابع فتناول الطعام فيها على مائدة أقامتها الفرقة العسكرية ثم نزل الاسكندرونة وفتش الحصون العظيمة التي أُحدثت في تلك الأنحاء وصرفت عليها الأموال الطائلة فأدبت بلدية اسكندرونة ضيافة شاي إكراماً للقائد في مكان مشرف على البحر غاية في الرواء وجمال المنظر ثم رجع القائد الكريم ورفيقه أحمد جمال باشا وسائر من في ركابهما إلى بيلان حيث باتا هناك تلك الليلة بعد أن حضرا الاستعراض العسكري الذي أجرته الكتائب المرابطة في جوار الاسكندرونة وبعد تناول طعام الغداء في بيلان ركب الناظران ومن معهما في السيارات إلى حلب فتناولا طعام المساء على مائدة أدبتها جمعية الاتحاد والترقي في حلب مساء السبت لبطل الدستور فكانت حفلة حافلة تشع نوراً وجمالاً فألقى الأستاذ الشيخ محمد بدرالدين النعساني قصيدة وعقبه الشيخ عبداللطيف خزنهدار رئيس نادي الاتحاد بخطاب وارتجل فليكس أفندي فارس من أساتذة المدرسة السلطانية في حلب خطاباً قال فيه:

إن الأمة العثمانية التي نفضت عنها غبار الموت ووقفت على ألواح قبرها منذ ثماني سنوات تقف اليوم بين العواصف التي تكتسح وجه الدنيا وتطلب من الحق حق حياتها بعد أن طالبته بحياة حريتها.

وفي الموقفين: تحت زوابع الاستبداد القديم وتحت إعصار النار التي تلتهم المدنية المنصرمة لتغيير وجه الأرض نرى هذه الأمة العظيمة تتلمس سبيلها وقد علقت أنظارها على السيف الأنور الذي انتثرت من فرنده[1] أشعة

(١) سيفٌ فِرِنْدٌ: لا مثيل له.

الحرية الخالدة وهو اليوم يعانق الهلال ومن تحته الغيوم تقصف في أهدابها الرعود.

* * *

موقفك عظيم هائل أيها البطل الصغير الكبير. إن حظوظ الدنيا متوقفة على خطرات روح الكون في فكرك ومستقبل مدنية العالم يترجرج بالشهب التي يرسمها رأس سيفك على قارة مهد الإنسان. إنك مسخر روح الحق أيها البطل فأنت تكتب كلمات اللوح المسطور على صفحات الوجود المنظور لقد كتبت من قبل كلمة الحرية لثلاثين مليوناً ويدك ثابتة وثغرك بسام فكن كذلك الآن وأنت تكتب هذه الكلمة المقدسة لكل الشعوب التي سحقتها المطامع وامتص دمها الاستثمار الفظيع.

وإذا خشعت نفسك يوماً أمام نفسك إذا تردد قلبك لحظة أمام روح قلبك في هذا الموقف الرهيب فالتفت إلى ما وراءك يا أنور. انظر! هنالك ضابط صغير انحله دبيب الروح الأعظم في عاطفته وشوقه جالس على القبور وقد ثوت فيها آمال الأمة مع رفات الجدود ذلك الضابط الشاب قد انحنى على يأس اخوته فاستخرج منه الأمل الحي في قلبه وبينما كان الكل في قطع الرجاء كان هو وحده منفرداً بأمل الحرية كان أعداؤه كحلقات الحديد مرتبطة تتسلسل من عند جواهر التاج حتى رغيف الجندي اليابس اصدقاؤه قليلون ومناوئوه الجميع.

ذلك الضابط الصغير انتضى سيفه واندفع إلى الأمام فلم تمضِ أيام حتى أصبحت الأمة كلُّها جنداً له وخشع أمامه الكل حتى اعداؤه.

انظر إلى ذلك الضابط الصغير أيها الوزير الكبير، تذكر وأنت إلى جنب العرش ذلك الذي وضع أساس المجد وهو متشرد في الجبال.

تذكر وأنت إذا تحركت ماجت لأمرك ملايين السيوف وزمجرت لصوتك ألوف المدافع، تذكر أنور بك وإلى جنبه رفيق جهاده نيازي بك تتمهد

أمامك المصاعب وتذوب أمام بريق عينيك جبال الأهوال.

* * *

أي أمير السيف ومجدد مفاخر عثمان ما ذكرت لك أخاك نيازي لأثير كامن الشجن فيك ولكنها خواطر قوة تثور في روحك فتدب منها إلى الأمة المجاهدة قوة الموت في سبيل الحياة.

وما يسيل الدمع من مآقيك مثل هذا التذكار أنك ما افترقت عن نيازي لأنه إن لم يكن حيث أنت فأنت موجود حيث هو كائن. إن الرجال الذين يصطفيهم الروح الأعلى لإتمام مقدرات الإنسانية يعيشون وهماً على الأرض إذ يحيون حقيقة في أوج المصادر الخالدة. إن روحك تجول حيث تجول الآن أرواح أبطال الدنيا الذين خدموا الحرية والحق منذ تكوُّن الإنسانية حتى الآن فما تلمس الأرض إلّا برجليك وبرأس سيفك.

* * *

تقدم وادخل أرض سورية التي يعرف أهلها أن الحرية هي كلمة مرادفة لاسم أنور.

سر في رحب هذه البلاد التي ملئت من آثار أخيك البطل جمال أمجاداً وإذا رأيت أن سورية تصارع ويلات الحرب فلا تكتفي بالغلبة عليها بل تصعد أيضاً على مدارج الارتقاء فاعلم أنها مدينة بذلك للرجل المحارب المتشرع المصلح مدينة لحامل مبدإك والمتحلي بفضائلك مدينة للبطل جمال.

* * *

عندما ارتجَّت الأمم لصدمة الارتجاع الأول في ٣١ مارت (آذار) كنت في بيروت فرأيت مع إخوتي الاتحاديين أمل الشعب بحريته ينقلب إلى اليأس المريع. رأيت الأمة مرتجفة إذ سمعت صرصر الاستبداد يزمجر من بعيد فارتمت إلى الأرض تعفر وجهها بالتراب. وقفتُ إذ ذاك وقلت لهم أن الاستانة قد أغلقت أبوابها بوجه الأحرار ولكن أسد الاتحاد لم يربض إلاّ ليثب وسوف ترون السيوف لامعة تقصف من حولها الرعود.

قلت لهم ذلك وفوق ذلك فبقي الشعب واجفاً يتلفت مرتعشاً فصرخت بهم إذ ذاك.

«إن صوت أنور بك يدوي في الآفاق ولمعان سيفه يشق ظلمة الأفلاك».

فرفع الشعب رأسه وانتفض كسلك مسّه الكهرباء. فكان ذكر اسمك كافياً ليرفع رأسه ويبرق محتجاً مطالباً بحريته وحياته.

ها أنت في سورية يا أنور وما أخالك جاهلاً من أنت. اذهب تحفُّ بك ملائكة الحق أيها البطل تقرَّب إلى هذا الشعب الذي أعطيته الحرية وسوف تعطيه الحياة الجديدة لأنه ينتظرها منك. جُد بلفتات عينك على هذه الأمة التي بينها أمهات يبكين أولادهن الشهداء التفت إلى الأولاد الذين يفتشون على آبائهم وفيهم الغازي والشهيد. تبسم لهؤلاء الحزانى فإنهم لنور وجهك يبشون. اظهر أمام سورية كما أنت وقد أنكرت نفسك في سبيل الوطن فلا تأسف البلاد على الدماء التي أراقتها وهي تتبعك في سبيل الدفاع عن حقها الأعلى.

* * *

ما أنت مضرم نارها ولا موري زناد هذه الحروب وما كنت لتدفع بالأمة إلى خوض غمار الروع وأنت الذي رميت بنفسك مراراً للموت لتنجيها من سطوة قاتليها ولكن المطامع قد قضت بسلبنا قبور أجدادنا وأسِرَّة أطفالنا فأبت عليك روحك هذا الذل وما يرضاه أحد من أبطالنا فقلت: أو غازياً أو شهيداً.

وها أن موقف الدولة المتحايدة اليوم يبيّن لنا أنه لم يكن من سبيل غير السبيل الذي دفعتنا إرادة الله إليه وما وراء هذا الضباب الكثيف غير المدنية الجديدة التي سينفخ الشرق فيها روحه ليرفع الإنسانية من موقفها الكاذب الذي تملك طويلاً ضمن حلقاته القاسية.

* * *

ليكن إذاً أملك أيها الوزير شديداً كما كان أمل الضابط الصغير وكما لمع نجم بطل الدستور منذ ثماني سنوات سوف يلمع نجم بطل الدنيا اليوم

ومن أهدى الأمة العثمانية حريتها وهو قليل الأنصار خامل المقام لا يكبر عليه أن يضع بيده أساس حرية الدنيا وهو أمير الجند كله وكلمته ترن من ضفاف البوسفور حتى عرش فرنسوا جوزيف وعرش غيليوم العظيمين!

وفي الساعة الحادية عشرة توجّه الوزيران إلى محطة السكة الحديدية وقد احتشد الجمُّ الغفير لوداعهما فركبا القطار باليمن والسعد إلى «رياق» توًّا.



في جبل لبنان

أقامت مدينة زحلة يوم الأحد ١٥ ربيع الثاني (٢٠ شباط سنة ١٩١٦) ضيافة شائقة لبطل العثمانيين أنور باشا، فصدحت الموسيقات الأهلية وتليت القصائد والخطب. ومن القصائد قصيدة حليم أفندي دموس ويوسف أفندي نعمان بريدي وغيرهما. وعني الزحليون من وراء الغاية بإظهار شعائر الإخلاص والمبالغة في الحفاوة بالزائر المحبوب وكانت الزينة بالغة حد النيقة[1] نصبت أقواس النصر من «قصبة المعلقة» حتى زحلة تخفق عليها الأعلام العثمانية والألمانية والنمساوية المجرية.

قال مكاتب المقتبس في زحلة:

يوم الجمعة في ٥ شباط شرقي سنة ١٣٣١ و١٨ شباط غربي سنة ١٩١٦، قدم زحلة صاحب الدولة علي منيف بك متصرّف لبنان المعظم مع بطانته الكريمة والموسيقى اللبنانية وثلة من الجند ووفد من مجلس إدارة لبنان. ثم وفود ولايتي سورية وبيروت الجليلتين. فأعدت الحكومة زينة حافلة بأقواس النصر تخفق فيها الأعلام العثمانية المنصورة وبينها كثير من أعلام الدول المتحدة متعانقة تعانق ممالكها فكانت الزينات الباهرة في جميع أنحاء المدينة وعلى مشارفها وشرفاتها ومنازلها والأعلام تزينها والجموع من زحلة

(١) النيقة: شديدة التأنّق والفخامة.

والبقاع مالئة الطرقات والفرسان تتجارى لاعبة برماحها، والموسيقى الشرقية والأسقفية، وطلبة المدارس من ذكور وإناث مصطفّة على جانبي الطريق، حتى كانت الساعة العاشرة ونصف قبل ظهر الأحد في ٧ و٢٠ شباط، فأقبلت السيارات التي يربو عددها على ١٥ تقلُّ حضرة صاحبي الدولة والاقبال أنور باشا وجمال باشا وحاشيتيهما الكريمتين فاخترقت تلك الصفوف من قرب «معلقة زحلة» إلى نزل قادري الكبير الذي هو اليوم مستشفى الهلال الأحمر المنصور. وكانت الموسيقى الأسقفية قرب الصخرة بين المعلقة والحوش. ثم موسيقى الكلية الشرقية. وموسيقى لبنان بقرب الحوش. ووفود الملاقين من دولة متصرف لبنان وبطانته ورجال حكومتي البقاع وزحلة والرؤساء الروحيون والأعيان والوجوه. فساروا بهذا الموكب الحافل وكانت أمام المستشفى المشار إليه تلاميذ المدارس الشرقية الأسقفية ومدرسة الحكومة ذكوراً وإناثاً وبأيديهم الأعلام العثمانية والمتحدة فحيّوهم بهتاف النصر.

وبعد أن استقرّ بهم المقام تقاطرت الوفود لتقديم الاحترام والخضوع لحضرة ضيف سورية المعظم فاستقبلهم ببشاشة وقُدِّمَتْ لدولته قصيدتان أنشد إحداهما حليم أفندي دموس استقبالاً لدولته والثانية أنشدها يوسف أفندي نعمان بريدي على المائدة التي جمعت أسباب السرور. ودخلت جمعية (بنات الشفقة) الأرثوذكسية فقدّمت لدولته متكأ (ركاية) أطلس عليها شبك وعلماً عثمانيًّا نفيساً مطرزاً بالقصب كتب عليه (فلتحيَ العثمانية) فتنازل دولته لقبولهما وأنشدته الآنسة ليندا خليل الحاج شاهين أبياتاً شعرية بالعربية ثم شقيقتها الآنسة زِلي رئيسة الجمعية خطاباً إفرنسيًّا فأمر دولته للجمعية بخمس عشرة ليرة إحساناً.

وكان وفد المدارس الثلاث المومإ إليها من كل مدرسة سبعة مع رؤساء المدارس. فألقى تلميذ عن فئة الطلبة الكبار في الشرقية خطاباً تركيًّا وجورج أفندي الشويري الرخيم الصوت نشيداً عن فئة صغارها فحتم دولة باشا على جورج أن ينهي دروسه في الشرقية فيرسله إلى مكاتب الاستانة وأمر دولة أنور باشا بإرساله بعد ذلك إلى إحدى كليات أوروبا.

وعند تناول طعام الغداء أنشده جورج هذا نشائد رخيمة وكانت المسويقات تشنِّف الآذان بأنغامها الرخيمة. وأنشد إبرهيم بك الأسود من أعضاء إدارة لبنان قصيدة بلسان اللبنانيين احتفاءً بتشريفه. وكان في نيّة الكثيرين إلقاء الخطب والقصائد فمنعهم ضيق المقام ومن القصائد والخطب التي وقفنا عليها: قصيدة لسليمان أفندي مصوبع وكيل مدعي عمومي قضاء زحلة، وخطاب الياس أفندي الظاهر من أساتذة الكلية الشرقية، وقصيدة فوزي أفندي عيسى المعلوف، وقصيدة نجيب أفندي إليان من أساتذة مدرسة الحكومة في زحلة، وقصيدة وديع أفندي عازار، وخطاب فؤاد أفندي بريدي وكلاهما من طلبة الكلية الشرقية.

فسرَّ دولته من الاحتفال وشكر المحتفلين والموسيقات ثم غادر على الطائر الميمون زحلة بعد الظهر بساعة ونصف مشيعاً كما قوبل بما يليق بدولته من الاحتفاء العظيم أيده الله وقد أمر بشاحنتين من الحنطة وبمائتي ليرة للفقراء في زحلة والمعلّقة.

وعند رجوعه من دمشق بطريق بعلبك يوم الثلثاء في ٧ آذار (غ) أعدت حكومة بعلبك نزل الخواجات كرباج على نفقتها واستقبلت دولته بمرورها في بعلبك استقبالاً حافلاً وكان موكب الملاقاة في الحوش والمعلقة من زحلة بالغاً منتهى الإتقان من هيئة الحكومة العسكرية والملكية والأهلين وطلبة المدارس الثلاث للذكور والإناث. وعلى الجملة فقد كان لدولته أيده الله في تشريفه الأول وملاقاته هذه حفاوة عظيمة برجل من أعظم رجال الدولة العلية حنكةً وغيرةً عليها.

وقد قالت جريدة لبنان الرسمية في هذا الصدد ما يأتي:

«مذ حلّتِ البشرى بطلعة «انورٍ» سَعَتِ القلوبُ إليه في لبنانِ
حتى الجبالُ مشتْ على أقدامها وترحَّبت بالقائد العثماني»

كان يوما الأحد والإثنين من هذا الأسبوع يومي مهرجان تألّق مجدهما على جبهة الزمان في تاريخ جبل لبنان بقدوم صاحب الدولة والإقبال وكيل القائد الأعظم وناظر الحربية الجليلة «أنور باشا» البطل الباسل المقدام وحضرة

صاحب الدولة قائد الجيش الرابع وناظر البحرية «جمال باشا» وبعض الأركان والأمراء الكرام. فقد أقيم لدولة القائد الشهير احتفال باهر في لبنان لم يتقدّمه مثيل من بلدة زحلة حتى محطة فرن الشباك بموجب برنامج الاحتفال الذي أمر حضرة ملجأ المتصرفية الجليلة بتنظيمه وكان القائمقامون والمديرون ولجان البلديات ومشايخ القرى يحتفلون بقدومه والجنود العثمانية مشاة وفرساناً تنتسق صفوفاً لأداء مراسيم التحية والسلام والموسيقى اللبنانية تصدح صداح التهليل والترحيب والرايات العثمانية المظفرة تخفق في دور الحكومة والمنازل والشوارع وقبب النصر تزدان بالأزهار والرياحين والجموع من مأمورين ووجوه وأعيان تحشد للقياه.

«فعند الساعة الرابعة بعد ظهر الأحد أقبل دولته على سيارة من زحلة وإلى جانبه دولة جمال باشا تتبعهما سيارات حضرة ملجأ المتصرفية المشار إليه والأركان والأمراء الكرام إلى الحازمية حيث نصبت الخيام وكان على حبل انتظاره كبار المأمورين الملكيين والعسكريين بمظاهر التكريم والإجلال. وعدد من أهالي جبل لبنان فوقف دولتهما هناك هنيهة ثم تابعا المسير إلى بيروت وفي مساء ذلك النهار أضيئت المصابيح وأقيمت التزيينات في دور الحكومة والقرى المجاورة.

«ونحو الساعة الواحدة بعد ظهر الاثنين أقبل دولتهما ومن يصحبهما في موكب حافل وفي عدادهم حضرة ملجأ ولاية بيروت الجليلة إلى «قصبة عاليه» حيث كانت حكومة لبنان أعدت لهم مأدبة فاخرة جمعت إليها نحو مائة مدعو في نزل البحار ولما انتظم عقد المدعوين وقف حضرة صاحب السعادة الأمير شكيب أرسلان مبعوث حوران وألقى خطاباً بليغاً وقبيل ختام المأدبة انبرى حضرة عزتلو شبلي بك ملاط ولفظ خطاباً ونحو الساعة الثالثة زوالية بعد أن عُرِّفَ دولة القائد العظيم بكبار مأموري لبنان والأعيان برحا ومن كان يصحبهما «قصبة عاليه» مشيَعَين بمجالي التعظيم والإجلال».

خطاب شبلي بك ملاط

يا محيي الدستور وفاتح أدرنة وقائد الجيش العثماني إلى مواطن المجد تحييك البلاد على ألحان الترحيب والتعظيم وأصوات التهليل والتكبير وتحت ظلال الغار وأقواس النصر تستقبلك وتشيعك البلاد يا محيي الهمم العثمانية الكبيرة في طرابلس الغرب وبعواطف الإكبار والإعجاب تهنيك البلاد يا صهر العائلة المتوجة المالكة ومجلى تهاني عظام الملوك من حلفاء صاحب العرش العثماني الأسمى.

وأمام جأشك الرابط وإقدامك الرائع وسيفك القاطع أيها الحامي حمى فروق والكاسح العدو الغادر إلى ما وراء الدردنيل إلى أعماق بحر إيجه المظلمة تنحني البلاد إجلالاً واحتراماً.

هناك أمام عاصمة الملك العثماني ومقرّ الخلافة العظمى ومهبط أسرار الشرف المتسلسل غازياً عن غاز وفاتحاً عن فاتح ومظهر مآثر آل عثمان العظام حيث كان المعترك الهائل وكانت حركة أفكار الشرق والغرب ظهر للعالم أجمع بالبرهان على شفار السيوف وبين كرات المدافع - إن عثمان مجد لا يرام -.

هناك في تلك المضايق المهدّدة المخيفة حيث لا شك بالموت واقف أثبت أبطال عثمان المجاهدون أن الدم الجاري في عروقهم هو هو الدم المتحدر في عروق أجدادهم الغزاة الفاتحين.

هناك قامت لهم الشواهد الكثيرة على الشجاعة النادرة يكفي منها ما ذكرتموه دولتكم بخطابكم في مجلس النواب العثماني وهو أن فرقة مؤلفة من ألف وأربعة عشر مجاهداً من أبطالنا هاجمها في أحد المواقف أربعة عشر ألفاً من عسكر العدو فثبتت تلك الفرقة أمام ذلك العدد العديد واستمرت على ثباتها مدافعةً مصابرة ثلاثة أيام حتى أتتها النجدة.

هناك خاطب الجندي العثماني عدوَّه وقد رآه مقبلاً بخيله ورجله ودوارعه يريد اقتحام عاصمة سلاطينه والاستيلاء على مسقط رأسه ورأس أجداده وما أشرف وأعدل ما قال:

نحن أيها المفترون علينا لم نفتكر مرةً أن نكدّر التاميز[1] على أهل التاميز ولا السين على أهل السين ولا الدانوب على أهل الدانوب نحن أيها المبادئون بالعدوان لم نذنب ولم نسِء مرة إلى بلادكم فما بالكم أنتم لا تكفون شركم ومطامعكم عنا؟

كفى ما رأينا منكم وما عملتم من الدسائس والمكايد بعد إعلاننا الدستور وما دستم من السموم في ساحة البلقان وطرابلس الغرب.

انكم تدَّعون نصرة الشعوب الطامحة إلى الحرية. انكم تدَّعون الغيرة على قيام المدنية ثم لا نرى في أعمالكم والعياذ بالله في القرن العشرين إلّا مستحلب الهمجية متحدرة إليكم من ظهور القرون الغابرة المظلمة.

فدعونا وشأننا وانصرفوا واكتفوا بما فعلتم بأحرار تركيا على سلام يصلحو في بلادهم ما أفسد المستبدون.

وصبر فتى الدردنيل ينتظر ما سيكون وإذا الجواب في أفواه المدافع وذلك العدو المغترّ يقول: هكذا تريد حليفتنا روسيا.

خسئتم بني التاميز فسيكون حظكم من الدردنيل حظ حليفتكم من

---

(١) التاميز: يقصد نهر الثيمز Thames في انكلترا ويخترق لندن. والسين نهر في فرنسا يخترق باريس.

غاليسيا والكربات والقفقاس.

وانصبّت عليهم كرات المدافع من الحصون العثمانية العصماء كأفواه القرب ووقف حفيد جبابرة الوطن العثماني موقف الدفاع الشريف جنباً إلى جنب أخيه كالبناء المرصوص وضاح الجبين كبير القلب:

وأثبت في حوض المكاره رجلهُ وقال لها من تحت أخمصك الحشرُ

ونظر إلى رايته نظر إلى هذه الراية التي تمثّل كل ما في الدولة من شرف ومجد وقال: نحن لكِ أيتها الراية فإما أن نعيش بظلكِ كراماً وإمّا أن نموت كراماً:

وقال لنفسه والحرب تغلي من الأعداء ويحكِ لا تراعي
فإنكِ لو سألتِ بقاء يوم على الأجَلِ الذي لكِ لم تطاعي
فصبراً في مجال الموت صبراً فما أمل الخلود بمستطاعٍ

* * *

وتدافعت آساد تركيّا إلى دفع المطامع هائجاتٍ تزأرُ
والله لم تبدأ قتالاً إنما هي تدفع الطمع الذميم وتثأرُ
فليعلمِ القوم الذين تجبَّروا أنّا القضاء على الذين تجبّروا
ضغرت أمام الدردنيل نفوسهم ورأوا هنالك غير ما قد فكروا
حُمَّتْ بنار قلاعه افهامهم فتضعضعوا رأياً ولم يتدبروا
وتشاوروا أن يدبروا لكنهم خافوا انسحاب الروس ان هم ادبروا
وإذا بجيش الروس في غاليسيا متضعضعٌ متراجعٌ متقهقرُ
كانت له فَرْسَوفِيا فتساقطت والروس قد ولّى وحار القيصرُ
لم يحمه الكَرْبات في يافوخه أو برزميسل أو محلٌّ أوعرُ
واندقَّ في ألقفقاس جمعهمُ كما يسطو على سربِ البغاث الأنسرُ
والسيف سيف محمدٍ ما ناله كسرى ولم يبلغ إليه قيصرُ

* * *

بجناق قلعة أحجموا وتخاذلوا		وتفرقوا وتشتتوا وتبعثروا
بكليبولي امسوا ولكن أصبحوا		والبحرُ منهم والصعيد مطهرُ

* * *

مَن مبلغ الأعداء أن اسودنا		حملت على مصرٍ تعجُّ وتهدرُ
والنيل قد مُدَّت إليه قساطلٌ		وجرى أمام الفاتحين الكوثرُ
وتحوّلت (صحراء موسى) منهلاً		عذباً به يسقى فيروى العسكرُ
و(ببئرسبعٍ) جرى الحديدُ كأنما		بخطوطه للنصر تكتب أسطرُ
هيا إلى مصرَ فإنَّ ترابَها		ذَهَبٌ ووادي النيل أمرعُ أخضرُ
وَكِلا الشآم ومصرُ عضوٌ واحدُ		أخوانِ ضمَّهما الهلالُ الأنورُ

* * *

أَنّى نخافُ وربُّنا متكفلٌ		بالنصر والسيف الطويل الأبترُ
فهنا جمالٌ كالمُهَنَّدِ قاطعاً		وهناك كالسيف المُهَنَّدِ أنورُ
سيفانِ في الأنَضَولِ سيفٌ مشهرٌ		وهنا ببر الشام سيفٌ مشهرُ

وختم خطابه بالدعاء الحميم لجلالة السلطان والجيش والوطن.

قصيدة

أمين بك ناصر الدين من شعراء لبنان

تليت بحضور بطل الأمة والدستور أنور باشا

وكيل القائد الأعظم وناظر الحربية الجليلة

في الحفلة التي أقيمت لدولته في عاليه

يومٌ يتيه به الزمان ويفخرُ ... متألِّقٌ بالبِشْرِ أبلجُ أزهرُ

مَشَتِ الكتائبُ فيه يتبعُ بعضُها ... بعضاً تخبُّ بها العتاق الضُّمرُ

والبِيضُ في أيدي الكُماة لوامعُ ... كالبرق تخفى في العَجَاج وتظهرُ

ومواكبٌ في أثْرِهِنَّ مواكبٌ ... من فوقها خَفَقَ اللواءُ الأحمرُ

هتفتْ فردّدتِ البلادُ هتافَها ... لمَّا بدا سيفُ الخلافةِ «أنورُ»

بطلٌ له في الخافقين كليهما ... تاريخُ مجدٍ بالسيوف مسطرُ

ذو همّةٍ ما حال خطبٌ دونها ... ولها الكبائرُ تستكينُ فتصغرُ

وعزيمةٌ أعيا الزمانَ مضاؤُها ... فصروفه أبداً لهنّ تعثرُ

وبَصيرةٌ بشفوفها برحِ الخفا ... وأُذيع سِرُّ المشكلات المضمرُ

ومهابةٌ لا الأُسدُ زائرةٌ إذا ... لاحتْ ولا مقلُ الأشاوسِ تنظرُ

زيّنت ببشر ينجلي في طلعة ... غرَّاء يحسدها الصباح المسفرُ

وندى يظلُّ المعتفين سحابُهُ ... فإذا همى خَجِلَ السحابُ الممطرُ

لـلّـه (أنـور) حـيـن تـسـتـلُّ الـظِـبـى ... ويموج تحت دجى العَجَاجِ العسكرُ
لـلّـه (أنـور) حـيـن تـشـتـبـك الـقـنـا ... والـمـوت يـخـتـرم الـنـفـوس ويـزأرُ
هـذا وزيـر الـحـرب أقـبـل زائـراً ... قُـطْـراً بـزورتـه غـدا يـسـتـكـبـرُ
سُـكّـانُـهُ عـاشـوا ومـلءُ قـلـوبـهـم ... حـبٌّ عـلـى الـخـلافـة يـقـصـرُ
يا نـاشـر الـدسـتـور بـعـد أن انـطـوى ... إن الـعـظـائـم بـالأعـاظـم تـجـدر
جـدّدت لـلإسـلام عـهـداً مـاضـيـاً ... وأَعَدْتَ مجدَ الجيش فهو مظفَّرُ
وصقلت بالعزمات بيض سيوفه ... فـثـيـابُـهُ بـدم الـعـداة تُـحَـبَّـرُ
خاض المعارك مُقْدِماً لا ينثني ... مـتـمـوجـاً كـالـيَـمِّ ساعـة يـزخـر
وكسا رحابَ الدردنيل من العِدى ... جُـثَـثـاً تـنـوشُ لـحـومَـهـنَّ الأنْـسُـرُ
ومضت بقيتُهم تفرُّ من الرَدى ... خـوفـاً ويـوهـنـهـا الـقـضـاء فـتـعـثـر
وسـيـوف عـثـمـانَ لَـوَامِـعُ فـوقـهـا ... والـحـتـف فـي شـفـراتِـهِـنَّ مُـصَـوَّر
رضي الخليفة عن صنيعك مثلما ... رضـي الـمـهـيـمـن والـنـبـي الأطـهـرُ
فاسلمْ لهذا الجيشِ تُعْلي شأنَه ... لـيـصـون عرش المُلِك ممَّا يحذرُ
وجَمَالُ منه لديك خير معاضد ... فـي بـأسـه ذكـرى لـمـن يـتـذكـر
هـو قـائـد أعـطـى الـقـيـادة حـقـهـا ... فـغـدت بـهـمـتـه تَـعـزُّ وتَـفْـخَـرُ
نَـجِدٌ إذا اقـتـحـم الـجـيـوش بسيفه ... فـالـهـامُ تُـنْـثَـرُ والـدمـا تـتـحـدَّر
ولـديـك مـن أنـداده نـفـر لـهـم ... شـيـم غـدت فـي كـل نـادٍ تُـذكـر
أعْلَيتَ هذا القطرَ حين حَلَلْتَهُ ... وكـسـوتـه الـبُـرْدَ الـذي لا يـدثـر
وعـلـمـتَ أنّـا مَـعْـشَـرٌ بـنـفـوسـه ... تُفْدَى الخلافةُ والصوارم تُشْهَرُ
متطوعاً متهالكاً يغشى الوغى ... وشـكـيـب مـنـه زعـيـمـه الـمـتـخـيـر
فارفع تحيتنا إلى العرش الذي ... تـتـغـيـر الـدنـيـا ولا يـتـغـيـر
عرش يضيءُ على الورى من أفقه ... قمر العلى مولى الزمان الأكبرُ
لا زالـتِ الأقـدار تـرهـب بـأسَـهُ ... ويـعـزُّ دولـتَـهُ الالّـهُ ويـنـصـرُ

قصيدة حليم أفندي ابرهيم دموس

من أدباء زحلة

هــذا زمــانــكِ (فــابــشــري) بــالــزائــريــن وكَــبِّــري

يــا زحــلــة الــغــنــاء صــو غــي الــقــافــيــاتِ وكــرري

الــيــوم عــيــدك يــا عــروس فــأنــتِ مَــلْــقَــى الأبْــحُــرِ

مــيــســي دلالاً والــبــســي حــلــلَ الــفَــخَــار وجــرِّري

قــابــلــت أفــخــم مــوكــب وعــرفــت أعــظــم مــعــشــرِ

وأتــاكِ أكــبــر قــائــد طــيَّ الــقــلــوب مــصــور

تــحــتــاطــهُ أُسْــدُ الــوغــى مــن كــل مــقــدام جــري

قــد زان صــدرك مــن بــه يــزدان صــدر الأدهــر

آنــســتِ نــور جــمــالــه (وجــمــال) حــامــيــك الــسري

تــيــهــي فــمــاذا تــرتــجــيــن بــعــيــد طــلــعــة (أنــورِ)؟

كــم رنَّ هــذا الاســم فــي واديــكِ قــبــلاً فــاذكــري!

إســم يــهــب مــع الــنــســيــم كــعــرف مِــسْــكٍ أذْفَــرِ

إســم تَــعَــشَّــقَــهُ الــكــبــيــر وهــزَّ قــلــبَ الأصــغــرِ

إســم يَــطُــلُّ عــلــى الــسُــهــى ويــســيــر فــوق الــمــشــتــري

* * *

هــل تــذكــريــن طـلـوعـه الــ — ـزاهــي بــكــل غــضــنــفــرِ
لــمــا أهــبَّ بِــيَــلْــدِزٍ — واســتــلَّ حــدَّ الأبــتــرِ
وأنــالــنــا «حــريــة» — لَــمَــعَــتْ كــبــدر نَــيِّــرِ
فـمـشـى عـلـى هـام الـصـعـاب — وظــلَّ خــيــر مــظــفَّــرِ

* * *

بَــطَــلُ الــبــلاد تــحــيــة — لــيــس الــنــبــوغ بــمــنــكــر
أكــرم بــعــهــدك إنَّــه — عــهــد الــجــهــاد الأكــبــر
أحــيــيــت مــيِّــت أمــة — ذاقــت خُــطُــوب الأعْــصُــرِ
فــهــززتــهــا بــحــمــيــة — تــركــيــة لــم تَــفْــتُــرِ
أيــقــظــتــهــا ورفــعــتــهــا — فــتــلألأت فــي أشــهــر
فــحــلــلــت أرفــع رتــبــة — ومــلــكــت أكــرم عــنــصــر
وتــركــت أعــداء «الــهِــلا — ل» بــلــهــفــة الــمــتــحــسِّــرِ
يــا يــومــهــم فــي الــدردنــيــ — ـل لأَنْــتَ يــومَ الــمــحــشــرِ
رامــوا الــحــصــون ومــا الــحــصــو — ن ســوى مــحــطّ الأنْــسُــرِ
رامــوا الــقــلاع ودونــهــا — ســيــل الــنــجــيــع الأحــمــر
وغــزاة «عــثــمــان» مــشــوا — مــن كــل لــيــث قَــسْــوَرِ[1]
تــنــهــال مــقــذوفــاتــهــم — كــالــعــارض الــمــتــفــجــر
دحــروا أعــاديــهــم فــفــر — ت كــالــظِّــبــاء الــنُّــفَّــرِ
هــجــروا الــمــضــايــق وانــثــنــوا — بــتــحــرقٍ وتــحــيــرِ
وغــدا بــنــو عــثــمــا — ن بــيــن مــهــلــل ومــكــبــر
يــروون لــلأحــفــاد تــا — ريــخــاً جــلــيــلَ الأســطــر

* * *

(١) قَسْوَرِ: شجاع.

حُـيِّـيـتُـمُ يـا نـخـبـة الـ ... عـظـمـاء روح الـمـحـضـر

فَـلأَنْـتُـمُ أنـوارنـا ... بـدجـى الـزمـان الأغـبـر

تـتـعـهـدون ربـوعـنـا ... بـعـنـايـةٍ وتـدبـر

فـنـعـيـش عـيـشـة غـبـطـة ... فـي عـصـرٍ سـلـيـمٍ مـزهـر

ونـحـل أخـصـب بـقـعـة ... ونـذوق أعـذب كـوثـر

ونـصـافـح الـعـلـيـاء فـي ... ظـل (الـهـلال) الأنـور



قصيدة يوسف أفندي نعمان بريدي

زها الشرق لما لاح أنورنا الفردُ — فمن وفده نورٌ ومن وجهه سعدُ
على صدره نجم يُتَوِّجُ رأسه — هلالٌ كما بالحسن قد توج الخدُ
تدلَّى عليه وهو بالمجد زاهر — كأنِّي به من فوق عروته ورد
أمير المعالي أنور الفرد من رقى — إليها بتعظيمٍ فصافحه الحمد
محرّر أوطان من الظلم والشقا — وباعث آمال لنا ضمَّها اللحد
أميري وما أحلى إمارتك التي — أنالَكَهَا الاقدامُ والحزمُ والجدُ
سموت إلى العلياء فرداً ولم تزل — ترقى بها فرداً وقائدُك المجدُ
ويا طالما قد مَثَّلَتْكَ عقولُنا — وأنت عن الأنظار يحجبك البعد
عظيماً ابيّ النفس مستكمل النُهى — شجاعاً إذا ما صُلَتْ ترهبُك الأُسْدُ
حكيماً صبوراً عادلاً مورد النهى — وأمثل هذي ليس يحصرها حدّ
وها العين تلقى ما تمثّل للنهى — فتبصر أوصافاً به فوق ما عدّوا
أميري وما أحلاك في الجيش واقفاً — وسيفك مسلول وزندك ممتدٌّ
وحولك آساد إذا ما أمرتهم — مشوا لقتال الضد فانهزم الضدُّ
على صافناتٍ ضامراتٍ خصورها — عتاقٍ إذا ما أسرعت أثقب الزند
وإن نفذت بين الصفوف حسبتها — سهاماً إذا ما أطلقت ليس ترتدُّ

وفوقك أعلام تحركها الصبا   فتلمع فيها أَنْجُمُ النصر إذ تبدو
تخوض غمار الحرب وهي جميلة   وترجع عنها والجمال لها بردُ
وحربٍ ضروسٍ أشغلت حركاتها   ممالك أوروبا وضاع بها الودُّ
فلا الجار يرعى حرمة الجار لا ولا   تُراعى حقوقٌ أو يُصَانَ بها عهدُ
أغار العدى للدردنيل وما دروا   بأنّ بجوف الدردنيل هو اللحدُ
وإن عَمَاراتٍ لهم لا تقيهمُ   من الموت والبنيان لا بد ينهدُّ
مدافع إنْ تُطْلَقْ من البر حَطَّمَتْ   دوارعهم إذ وقعها دونه الرعد
أضاع العدى قواتهم وجنودهم   وما أدّبتهم خيبة وشقى يعدو
فآبوا لسدّ البحر يبغون منفذاً   فعادوا وقتلاهم وراءهم سدُّ
فأدهشت الدنيا بسالة جيشنا   وراح لسان لكون في مدحهم يشدو
إذا خصّ بالتعظيم جيش فإنما   إلى قائد القواد يرتجع الحمد
«أنور يا تاج المحامد والعلى   ليكفيك فخراً انك البطلُ الفرد
تنازلت من عليا مقامك زائراً   ربوعاً لها من وطء اقدامك الرفد
حللت بوادينا فسالت مياهه   تصفق ترحيباً وطير الهنا غَرِدُ
ولا عجب أن نلقى البنود خوافقاً   فكل فؤاد مخلص ضمّه بند
أزحلةَ نِلْتِ اليوم فخراً مكمَّلاً   بتشريف قوادٍ وطوَّقَكِ السَعْدُ
فأنور من عزَّتْ مواطننا به   يشرف أرجاءً بصحبته وفد
جمال ولا ننسى جمالًا فذكره   يطيب لنا ترداده إنه شهد
أفاضت أياديه بسورية الندى   فمن كفِّهِ وِرْدٌ ومن عدله وِرْدُ
وتيهي بفخر الدين إن حلوله   لفخر ولقياه هي المسك والندُّ
وَعِزِّي بقوادٍ ورهطٍ يضمُّهُمُ   هنا مجلس كالدرّ يجمعه العقد
ومسك ختامي بالدعاء أصوغه   بحفظ مليكِ العرشِ مَنْ زَانَه الرشدُ
وحفظ حليفات تسامت ملوكها   وهذا منى قلبي وهذا هو القصد

شعائر العثمانية

قصيدة سليمان أفندي مصوبع

من رجال القانون والأدب نزيل زحلة

ملك الجمال أَطَلْتُ فيك تحيُّري — فإذا عجزتُ عن امتداحك فاعْذُرِ
عَشَقَتْكَ نفسي يا جمال لأنها — وثَقَتْ بوصفٍ عن جمالك مُخْبِرِ
أوَلَسْتَ أنت مليك كل عظيمة — عشقت علاك وربَّ كل غضنفر
فإذا وقفتُ أمام مجدك خاشعاً — ما كُنْتُ بالمتزلِّفِ المتسترِ
وإذا رأيت بي الهُيَام مُجَسَّماً — بك لا تقل هذا هيام مُغَرَّرِ
لكنه وَجْدُ امرئٍ عبد الرشا — د فكان عبداً للجمال الأنور
ورأى العظام وما هم ودرى بما — كَتَمَتْ سرائرُ عصره المتأخر
فرأى بك الحَكَمَ الذي سيكون فا — حلة الجديد عن العتيق المدبر
يا طالما ظنَّ الفَرْنجَةُ أنَّنا — سَلِعٌ تُقلِّبها أكُفُّ المشتري
فتفنّنوا في منع كل مناسب — لِرُقِيِّنا وأتوا بكل مؤخر
حتى إذا ظنوا الوقيعة أعلنوا — حرباً أرتهم كيف قاع الأَبْحُرِ
هجموا يقودهمُ الغرور وعَلَّقوا — أمل الفلاح عليه دون تَبَصُّرِ
وتألّبوا جيشاً فجاؤوا الدردنيـ — ـل على متون السابح المتفجرِ
حسبوا فروق غنيمة هانت وما — علموا بأن فروق غاية قسور
ولطالما طمع الغزاة بها فما — ظفروا بغير غنيمة المتقهقر

شهد الفرنسيس الدعاة بأنَّ في سُبُلِ الغواية مصرع المتكبرِ
ورأى بنو التاميز[1] أنَّ سيوفنا فيهم تدار بفطنة المتحذر
قد غرّهم نوم الأسود فأقدموا وتجاهلوا تاريخ تلك الأَعْصُرِ
حتى إذا هبَّ الأسود أروهمُ عثمانَ يَصْرَعُهُمْ بكل مُكبِّرِ
فتذكروا عهد الغزاة وهرولوا يتلون للدنيا جزاء المفتري

* * *

يا يوم سد البحر دمت مخلداً أبداً وللاعداء خير مُذَكَّرِ
إنَّ البلادَ لِأَهْلِها حقًّا وهـ ذا الحق يُحْفَظُ بالحسام الأبترِ
فأعِذْ بحقِّك يا جمال إلى الحمى مصراً لتسعد بالهلال الأنور
هو دامع أبداً لفرقة مصره فامْسَحْ بكفك دمعة المتحسّر

* * *

وأعدَّ يا عزَّ الخلافة أنور الأبطـ ال نابغة الزمان الأكبرِ
جيشاً لتخليص البلاد من الشَقا واضرب به الأعداء ضربة أنور
ليقول شاعرها الأمين لنفسه يا نفس قد نِلْتِ المَرَامَ فابشري

---

(١) التاميز: نهر الثيمز Thames ويقصد به الإنكليز.

قصدية فوزي أفندي عيسى معلوف
من أدباء زحلة

الفضل فضلك والنظام نظامي ... والوحي وحيك والكلام كلامي
يا مُوحياً بجميل فعلك ما به ... شَحْذُ العقولِ وهبَّةُ الأقلام
هب لي قليلاً من بيانك اغتدي ... والسحر قولي والبديع نظامي
يا من إذا سارت طلائع جيشه ... بفروقٍ اهْتَزّتْ ربوعُ الشامِ
يا مَنْ يَؤُمُ العالمون علاءَه ... مشياً على الأحداق لا الأقدامِ
أنت الذي جمع الإلٰهُ بشخصه ... لطفَ الحمامِ وسطوةَ الضرغام

* * *

لله درُّك يوم قمت مناوئاً ... بفروق عهد الظلم والظُلاَّمِ
ناوأته بالسِلْمِ حتى لم يعد ... سِلْمٌ فقمت إليه بالصّمّصامِ
في عصبةٍ أكرم بها من عصبة ... جمعت من الأحرار كل همامِ
فنشرتَ في الأوطان الوية الإخا ... واسْتَقْبَلَتْها الناسُ بالأعظامِ

* * *

لله أنت وقد تجمَّعَتِ العِدى ... في الدردنيل بِعُدَّةٍ وزحامِ
حلموا بفتح الدردنيل ويا ترى ... هل فاز مُتَّكِلٌ على الأحلامِ
لم يعلموا أن الأسود حَيَالَهُ ... تختال بين معاقل وخيامِ

اصليتهم نار الجحيم فأدبروا يتعثّر الأسطول بالأجسامِ

* * *

لك في القلوب تَجُلَّةً ومحبّة تبقى مدى الأجيال والأعوامِ
تنمو نموّ جسومنا وخضوعنا لسرير عثمان الرفيع السامي
هاك القلوب فَشُقَّها واقرأ بها كَلِماً بلا حبرٍ ولا أقلامِ
كَلِمٌ تُرَدّدهُنَّ ألسنةُ الورى بتردّد الأصوات والأنغامِ
فلتحيَ تركيا ويحيَ هلالها بدر العصور وزينة الأعلامِ

* * *

رام العِدى أن يمحقوه وما دروا أن الأسود حَمَتْهُ بالصمصامِ
وليحيَ سلطان البلاد محمدٌ ملك الملوك وخيرة الآنامِ
«مَلِكٌ زَهَتْ بزمانه أيامُه حتى افتخرنَ به على الأيامٌ»
وليحيَ أنورُ مَنْ بِحَدِّ حسامه في الحرب مجلى الشك والأوهام
ويعش جمال الدين والدنيا الذي شاعت مآثره بكل مقامِ
وليحيَ في ظل الهلال رجاله ذخراً لتركيا وللإسلامِ

يا أُمّةً لبني عثمانَ تنتسبُ

قصيدة وديع أفندي حداد

من أدباء لبنان

في مدح ضيف سورية العظيم

يـا أمـةً لـبـنـي عـثـمـانَ تـنـتـسـبُ ... لَأَنتِ في عزّةٍ تُحْنَى لها الرُكَبُ

أدركتِ هام السهى في أعين سلفوا ... مجداً يُخَلِّده التاريخ والكُتُبُ

من عهد عثمان رب السيف ما بَرِحَتْ ... تَسْمُو إلى الغاية العليا بِكِ الرُتَبُ

أعلى منارِكِ يوم الفتح من خضعت ... له الصعاب وهانت عنده النُوَبُ

محمدٌ بطل الدنيا الذي استبقتْ ... تجري بخدمتهِ الأقلامُ والقُضُبُ

وضمَّ شملكِ «ياووزٌ» فزدتِ عُلًا ... لَمَّا توحَّدَ فيكِ التركُ والعربُ

أحيى الخلافة من أضحى بها سنداً ... من المحاريب تُتْلَى باسمه الخطبُ

وحين جاء «سليمانٌ» غدوتِ به ... نوراً أشعَّتهُ القانون والأدبُ

فأنتِ منبتُ أبطال الدهورِ على ... رغم الشعوب الأُولَى لولاكِ ما رُهبوا

تفاخرين البرايا بالأُولى نبغوا ... وفي السباق لكِ المضمار والقصبُ

من مثل أنوركِ الغازي إذا ازدحمت ... من حولكِ الكارثات الدهمُ والكربُ

أو من يضاهي جمالاً في حماستهِ ... فرداً به تتقى الأزمات والخُطُبُ

يمشي إلى الخطر الداهي فيدفعه ... بساعدٍ ليس يعرو عزمه تعبُ

يا يوم تَمُّوز والدستور ما شَهِدَتْ ... كمثل مجدك مجداً قبلك الحقبُ

أعلَنْتَ للأرض طُراً مجد أُمَّتنا ... بأنور قصرت عن نوره الشهُبُ
إذ قاد أنور أحرار البلاد إلى ... أسوارِ يَلْدِيزَ فانشقّت له الحجُبُ
وعادَ أنور والدنيا مُكَبِّرة ... تكبيرة الحمد يَمْلأُ قَلْبَها الطرَبُ

* * *

هلّا ذكرنا حيال الدردنيل قوًى ... من الحديد بها الأمواج تضطربُ
تضيق عنها فِجَاجُ البحر عابسةً ... تسعى إلى الموت في أنيابها العطبُ
تبغي اقتحام عرين الأُسْدِ معلنةً ... أنَّ الأعادي على تذليلنا اعتصبوا
فقابَلَتْها غداة الروع صابرةً ... صبر الكرام أسود هزها الغضبُ
أسودُ غابٍ إلى عثمان نِسْبَتُهُمْ ... إلى رفيع المعالي ينتهي الحسبُ
يقودهم أنورٌ والنصر يصحبه ... والموت يفني عداه كيفما انقلبوا
ردّوا الأساطيل تهوي في مذلَّتها ... يقودها للنجاة الخوف والهرَبُ
قد قال فينا العِدى إنَّا فريستهم ... وقد رأوا أنَّهُمْ في قولهم كذبوا
الله أكبر إذْ نغزو يذلُّ لنا ... قلب الحديد وان نُغْزَى فنحتسبُ
تغشى الكريهة لا جبنٌ ولا وجلٌ ... وفي السلام لنا العلياء مُطَّلبُ
لنا الوفاء وحفظ العهد شيمتنا ... والصدق يصحبنا ايَّان نغتربُ
غداً يعود لنا سِلْمٌ تعزّزه ... أصالة الرأي فيه السعد والأربُ
فتفخرين على الدنيا بأجمعها ... يا أمةً لبني عثمان تنتسبُ

* * *

لما وصل القائد المبجل إلى الحازمية على سيف لبنان كان جمهور كبير من أهل الساحل واقفين موقف الاحترام يتوقعون إطلال محيا بطل الأمة العثمانية وقد أعدوا له ولرجاله مقصفاً فيه من الحلواء والأشربة المحلّلة من كل ما حلي في العين وحلا في الفم فمرّت سيارة القائد منطلقة تقصد إلى بيروت في الوقت المعيّن فاستوقفها الخطيب اللَّسِنُ سليم بك أيوب ثابت من كبار أعيان بيروت وعرض على مسامع القائد أنْ زهاء ألفين من الناس متطلّعون

للنظر إلى طلعته السامية فإن حَسُنَ لديه أن لا يحرمهم من نور وجهه وعطفه الأبوي فترجل في الحال أدام الله بهجته ولاطف الجمع وتنازل فتناول قطعة من الحلواء جبراً للقلوب على عادته في التلطّف المتناهي مع جميع الطبقات تلطفاً استمال به الأفئدة واستهواها في كل مكان حلّت فيه ركابه.



في بيروت[*]

برزت مدينة بيروت صباح «الأحد» مكلّلة بأكاليل الزهور والرياحين موشحة بالطنافس والرياش الثمينة. تخفق على دار الحكومة والدوائر الرسمية والمخازن والحوانيت والبيوت الرايات العثمانية المظفرة، وانطلق تلامذة المدارس الأهلية من ذكور وإناث بموسيقاتها إلى تلك الساحات الفسيحة، وخرجت النساء مع الأطفال من خدورهن مبتهجات مسرورات يشاركن الرجال في احتفائهم بدولة الزائر الكريم.

وأخذ رجال هذه الحفلة الفائقة يعقدون سلك نظامه على صورة تسر الناظرين وترتاح إليها نفوس العثمانيين.

وفي الحقيقة لم ترَ مدينة بيروت منذ سنين عديدة مثل هذا الاحتفال الباهر بهجة وانتظاماً، وكانت الهيئة المحتفلة ممتدة من «فرن الشباك» حتى «نزل غاسمان» الألماني الشهير وكان ترتيب صفوف العساكر النظامية وأفراد الجندرمة والبوليس، وجواش البلدية، وتلاميذ المدارس أحسن ترتيب. وكانت موسيقات المدارس تشنف آذان السامعين بأنغامها المطربة. وكان الكريم المنّان يمطر بيروت تارة غيثاً رذاذاً وطوراً يصحو الجو، ولكن الغيوم كانت متلبّدة في السماء أما الهواءُ فقد كان في غاية من اللطف والاعتدال

(*) عن جريدتي البلاغ والإقبال الغراوين مع زيادات قليلة.

فمضت هذه الساعات اللطيفة والناس يتجاذبون أطراف الحديث (والحديث شجون) يعددون مناقب زائر بيروت الكريم وفي الساعة الثالثة نهض عزمي بك والي بيروت محفوفاً برجال معيته الأركان والعلماء وأشراف الأمة والأعيان قاصدين «فرن الشباك» لاستقبال زائري بيروت الكريمين.

ولم تحن الساعة الرابعة ونصف زوالية حتى أقبلت السيارات تقل رجلي الأمة والدولة القائدين العظيمين. والوزيرين الخطيرين صاحبي الدولة والمجد (أنور باشا المعظم) وكيل القائد الأعظم، وناظر الحربية الجليلة و(أحمد جمال باشا) قائد الجيش السلطاني الرابع وناظر البحرية الجليلة وفريقاً من القواد الكرام والأركان الحربية الذين حضروا بمعية دولة القائدين المشار إليهما.

فتقدّم رجال الحفل وفي مقدمتهم والي الولاية العالي للسلام على صاحبي الدولة الوزيرين العظميين والأركان الكرام ورحّبوا بقدومهم وهنؤهم بسلامة الوصول.

وبعد أن استراحوا قليلاً في ثكنة الفرسان في «الحرج»[1] ركب القائدان المشار إليهما مركبة خاصة بين الدعاء الشديد والتصفيق المتواتر من جماهير الأهلين والموسيقات تصدح بأنغام الترحيب وأمامهما كوكبة من الفرسان ووراءهما كوكبة من فرسان الشرطة ثم أخذت المركبة تسير الهوينا بين فرق العساكر وتلامذة المدارس وبين هتاف طبقات الناس المنتشرة على جانبي الطريق والمطلّة من شرفات البيوت لتستضيء بضياء رجل الأمة الوحيد فكان حفظه الله يحيي الجميع عن الجانبين بالتحية الأبوية مبتسماً مسروراً إلى أن شَرَّف المحل المعد لنزوله فتوافد للسلام عليه الأركان والعلماء المشار إليهم.

ولدى مرور الوزير الخطير أنور باشا بساحة الاتحاد في بيروت حيّاه تلامذة مدرسة مار منصور بملء التحمّس فقابلهم دولته بابتسامة لطيفة مثلها استاذهم بهذه الأبيات:

لَأَنتَ بقطرنا حملٌ وديع   وبين عداك كالأسد الغضنفرْ

---

(١) منطقة عند مدخل بيروت فيها حِرْجٌ من أشجار الصنوبر.

إذا مـا افـتـرَّ ثـغـرك فـي بـلاد   وبات اللطف من شفتيك يُنْثَرْ

تـكـهـربـتِ الـقـلـوبُ وأنـت فـيـهـا   كـأنَّ الـكـهْـرُبـاء بـثـغـر أنـورْ

وقد اغتنم ميشال أفندي خياط من أدباء بيروت مرور الموكب بقبة النصر التي أقيمت في ساحة الاتحاد ومرّ من تحتها القائدان المعظمان فقال:

رَحَّبَتْ بـك الأرجـاء طـرّاً وازدَهَـتْ   يُـمْـنـاً بـتـشـريـف الـوزيـر الأكـبـرِ

وكـذاك دُرَّة آل عـثـمـان غـدتْ   جـذلـى تـرحـب بـالـثـنـاء الأعـطـر

ترجـو لـك الـنصـر الـمبـين وكـلـهـا   ثقـة بـمـصـر فـأنـت أنـت بـذا حَرِي

فـإلـى الأمـام إلـى الأمـام أيـا بـنـي   عثمـان وانحـوهـا بقـلـبِ غضـنفـرِ

واستخلصوا هذي الشقيقة وارفعوا   عـلـم الـهـلال عـلـى ربـوع الأزهـر

فـالـفـتـح تـرجـوه الـجـمـاعـة كُـلُّـهـا   والـنـصـر صـار كـحـاصـل ومُـقَـرَّرِ

وتـرى بـتـاريـخٍ يـعـي بُـشـرى لـنـا   حـلّ الـهـنـا بـلـقـا الـجـمـال الأنـور

سنة ١٣٣٤

* * *

وبعد أن استراح الزائر قليلاً جاء دولة القائد العظيم أحمد جمال باشا داره العامرة لزيارة أُسرته الكريمة وبعد ساعة ركب دولة وكيل القائد الأعظم لزيارة دولة قائد الجيش السلطاني الرابع في منزله وزار أصحاب الدولة والي الولاية العالي. ومتصرّف جبل لبنان. وفخري باشا وكيل قائد الجيش الرابع في منازلهم ثم شَرَّفا معاً في الساعة الثامنة (نزل غاسمان) وكان المدعوون وقتئذ مجتمعين في النزل المذكور لتناول طعام العشاء بحضور الزائرين الكريمين، فتصدّر في صدر المائدة الفاخرة دولة القائدين العظيمين وعن يمينهما صاحبا الدولة والي بيروت عزمي بك وعلى منيف بك متصرف لبنان والقواد وأركان الحرب وقناصل الدول المتحابة وبقية المدعوين من علماء وأشراف وسراة. والكل متلذّذ بالنظر إلى ذلك الوجه الصبوح الذي جذب الأفئدة بمغناطيس عطفه ولطفه.

ومما يذكر من ذكاء القائمين بتنسيق هذه المائدة وانتباههم إلى مراعاة

الأحوال الحاضرة انهم وضعوا لصنوف المآكل أسماء جديدة من أسماء المواقع التي جرت فيها الحروب كقولهم: شوربة أنا فورطة، بورك٤٢، سمك سد البحر، فواغر الدردنيل، لقمة الأهرام، مهلبية القنال، وما يشبه هذه الأسماء مما كان له التأثير الجميل في نفوس المدعوين.

وفي منتصف الحفل نهض والي بيروت وفاه بخطاب جليل باللغة التركيّة عدّد فيه مآثر دولة أنور باشا وما له من الأيادي البيضاء على الأمة وهذا هو تعريب لنصّه:

تعريب خطاب عزمي بك والي بيروت

حضرة الوزير الخطير

إنني أفتخر بأن وفقت لتقديم تعظيماتي الخاصة وتقديس أهالي بيروت المتعلقين باحترام وشغف عظيمين نحو ذاتكم الفخيمة التي أظهرت الخوارق في كل ما له مساس بمسائل حياة المملكة.

أسستم بالمساعي الوطنية الحثيثة التي ابتدأت منذ ثماني سنوات واستمرّت إلى الآن سعادة المملكة في كل ضرب من ضروبها وخلصتم العثمانية والإسلام كل الخلاص بفضل التوفيق الأخير الذي أحرزتموه في «جناق قلعة» مظهرين بذلك المعجزات والخوارق وقلدتم إخوانكم في الوطنية قلادة من المنة والشكر لكم.

أما الجيوش العثمانية التي أخذتم على عاتقكم رئاسة إدارتها وكالةً عن الحضرة السلطانية المقدسة فإنها كلما كتب النصر لأعلامها في كل جهة من الحدود يغتبط القوم ويزيدوا حمية فإن العثمانيين عموماً والبيروتيين خصوصاً الذين يرون كل يوم تزيين صحيفة في التاريخ العثماني منها لم يتأخروا عن اقتفاء أثر دولتكم لاستحصال الغلبة الاقتصادية والاجتماعية في الداخل.

وإنني أرى من الواجب أن أعرض على مسامعكم بأننا مدينون بالشكر لجيوشنا التي أظهرت لنا من كل وجه بأن بقاء الفوائد التي نتجت عن إهراق دمائها في سبيل سعادة الأمة والمملكة لتوقف بلا ريب على تأسيس الغلبة في

الداخل ولا سيما الجيش الرابع الذي قام بانقلابات عظيمة في هذه الأعمال ولحضرة جمال باشا قائده المعظم اليد الطولى فيها.

أيها الوزير: إن أعمالكم لم تقتصر على تأمين الظفر في الحدود فقط بل قد رسمتم لنا في أثناء الحرب بما نظمتموه من معاملكم وصنائعكم وغيرها من المعاهد بكل ما رزقتم من مضاء، الخطوط الأساسية التي سنتبعها بعد الحرب في عامة الجهات وفتحتم لنا طرق الرقي فضاعفتم بذلك شكر الأمة وامتنانها.

يا صاحب الدولة: هذه الأمة التي فوق رأسها مثل سلطانها المعزّز المقدس وأمامها مثل فخامتكم ورفاقكم الكرام الأقوياء الساعد المتفانين في الوطنية تعتقد كل الاعتقاد بسعادتها في هذه الحياة فلا تتأخر عن القيام بواجبها الأساسي ولا عن أي مفاداة كانت كما ان كل واحد منها يكون على ثقةٍ من أنه نفض عنه غبار الموت للحصول على سعادة غيرها في الوطن. هذه الأمة تعتبر بأن إنفاذ أوامركم عن رغبة وسرور منها من أقدس واجباتها كل حين.

إن هذه الليلة التي قضيناها بين رفقاء دولتكم المحترمين المنسوبين لدولتين من أعظم الدول قد تركت لنا ذكرى ذات شأن عظيم وإنني أعرض شكري لمنحكم بتشريفكم البيروتيين شرفاً عظيماً إذ رأوا فيه يوماً تاريخيًّا باهراً وأرحّب بجميع رفقائكم المحترمين.

وإنني أدعو بدوام توفيق أمم حلفائنا الألمانيين والنمسويين والبلغاريين وسعادتهم ممن يحاربون معنا في سبيل الحق والحياة وبعافية وصحة حضرات قياصرتهم وملوكهم وأختم كلامي بالتضرّع لتوفيق سلطاننا المحبوب وصحته وسلامته فإن كل يوم من أيامه هو سعادة للعثمانيين.

* * *

ثم تليت قصيدة الأستاذ محمد أفندي الكستي وهي:

السعد هلّل في الوجود وكَبَّرا ... واليُمْنُ من أفق الأماني أسفرا

بُشْرَاك يا بيروت قد نلتِ المُنى ... ومن الفَخَار بلغتِ حظًّا أوفرا

إنّي أراكِ الآن مَطْلَعَ كوكبٍ ... بل هالة ضاءت ببدرٍ (أنورا)

بطل الوغى المغوار قائد دولة بالنصر كللها الإلّه وأزرا
فازت بنو عثمان منه بابيض ذاقت به الأعداء موتاً أحمرا
وغدا به الوطن العزيز مُحَصَّناً بقوى النفوس وبالحديد مسوّرا

* * *

أهلاً بأنورنا وصهر مليكنا رجل العلى والحزم بل أُسْدُ الشرى
وافيت بيروت التي فيها سرى سر (الجمال) بحكمة لن تنكرا
وغدت أهاليها بأعظم راحة بالحمد تلهج مِنَّةً وتشكرا
ذاك الرفيع القدر قائدنا الذي من حكمه روض العدالة أثمرا
متفقداً شأن البلاد بهمة أرضى العباد بها وراض العسكرا
لا زال بدر السعد (أنور) مشرقاً (وجمال) وجه العز فينا مسفرا

* * *

والشكر نهديه لوالينا الذي أُفْقُ الولاية من سناه أقمرا
ذو الفضل (عزمي) الشهم من أقواله بالصدق ثابتة ولن تتغيرا
لسنا نوفّي حقَّه بالمدح لو عشنا سنيناً في الوجود وأشْهُرا
الله صان الدردنيل بقوة من جيشنا المنصور دام مظفرا
والروس منا ذاق طعم الويل في قُفْقاسِيا لما طغى وتكبَّرا
وعلى العراق بدت طلائع فوزنا والكل أضحى بالمنى مستبشراً
فوز به طاف السرور بطيبة وتهلّلت فرحاً به أم القرى
لكنَّ مصر وما يليها لم تزل تشكو وكادت أن تميد وتضجرا
تدعو الهلال لكي تعيش بظله من قبل أن تقضي أسًى وتحسرا
يا ربّ كلِّل بالنجاح رؤُوسنا واجعل لنا الأمر العسير ميسرا
واحفظ لنا سلطاننا وأدم له نصراً بجاه نبينا خير الورى

* * *

ثم نهض الشيخ علي العشي شيخ السجادة السعدية في بيروت وتلا ما يلي:

يا مرحبا بسراةٍ أينما ساروا ... يَسْرِ السرورُ فيالله إسْرَارُ
وأينما نزلوا بل حيثما رحلوا ... تُظلُّهم من سنا المختار أنوارُ
الله أكبر ما أحلاه محتفلاً ... يزهو (بأنور باشا) فهو تذكارُ
فتًى من (الترك) محبوب تعشقه ... (عرب) و(نمسا) و(ألمان) و(بلغارُ)
ويزدهي (بجمال) الدين أحمد من ... دلّت على فضله المأثور آثارُ
كما ازدهى بعُلى والي ولايتنا ... (عزمي) فتى الحزم قوَّاد ونُظَّارُ
لا سيما (فخري باشا) من به افتخَرَتْ ... بين البرية أبرار وأحرارُ
قُوَّادُ حربٍ لأعداد القوى خلقوا ... وما عليهم وهم للدين أنصارُ
فليخشى مولاه من أضحى يناصبهم ... شر العداة فإنَّ الله قهارُ
كم مرة أنقذونا من مخالب من ... فينا استبدوا وفي أحكامهم جاروا

* * *

يا أُمة الإنْكِليز اليوم يومكِ في ... قنال مصر فمصر اليوم أمصارُ
دعي القنال فما هذا الجنون أَما ... كفاكِ في (الدردنيل) الخزي والعارُ

* * *

يا مصر غنّي ابتهاجاً وارقصي طرباً ... وَلْيَهْنَ فيك بِسُكنى الدار ديَّارُ
وافاكِ (مولاكِ) والأعلام خافقة ... والسيف والرمح خطارٌ وبتَّارٌ
يا آل بيروت أمسى اليوم موطنكم ... يتيه فخراً وإعجاباً بمن زاروا
لله (أنورهم) قلباً (وأحمدهم) ... فعلاً (وعزميهِمُ) صدقاً إذا ساروا
بالحزم والعزم قد سادوا وكُلُّهمُوُ ... في السِلْمِ والحرب مقدام ومغوارٌ
تبارك الله ما أزكى شمائلهم ... كأنهم في سماء الكون أقمارٌ
أهلاً بهم ما تجلى نور (أنور) في ... آفاق بيروت وازدانت بها دارُ

فليحيَ سلطاننا المحبوب في دِعَةٍ تحوطه من آله العرش أنظارُ
وليبقَ صهر أمير المؤمنين لنا حِصْناً حَصيناً إليه يلجأ الجارُ
وليبقَ سيف (جمالٍ) بيننا حَكَماً به تُرَدُّ عن الأوطان أخطارٌ
ودام (عزمي) علينا (والياً) أبداً يحميه جيش من الأملاك جرارُ
ودام جيش بني عثمان منتصراً ما أينعت من رياض العزّ أثمارُ

* * *

ثم فاه حسن أفندي بيهم من فضلاء بيروت بخطاب قال فيه:

أحمد الله على نعمائه وأصلي وأسلم على صفوة أنبيائه وأخلص دعائي إلى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين حامي حمى الدين المبين صاحب الخلافة الإسلامية العظمى والسلطنة العثمانية الكبرى السلطان بن السلطان السلطان الشوروي الغازي محمد رشاد خان الخامس أيده الله وأدام ملكه ونصر جنده وأعزَّ فلكه آمين اللهم آمين.

أما بعد،

أيها الوزير الخطير لما أراد الله الخير بالممالك المحروسة يسر لها رجالاً كراماً مجددين أوقفوا أنفسهم في سبيل اتحادها وترقيها فأنالوها نعمة القانون الأساسي وإلغاء الامتيازات الأجنبية وساروا بها إلى معالي النجاح والفلاح وما الكرام المجدّدون إلّا أنتم أيها الهمام ورجال الدولة الفخام وأمراء الجيش المظفر أخصُّ منهم بالذكر البطل المقدام والمدبر السياسي حضرة أحمد جمال باشا ناظر البحرية حفظه الله فالعثمانيون كافة يردّدون آيات الشكر والثناء لأنكم جعلتم لهم ذكراً ومقاماً في مصاف الأمم الراقية. وإن الله لا يضيِّع أجرَ من أحسن عملاً.

نشبت الحرب الحالية فأعددنا لها العدّة اللازمة دفاعاً عن كياننا بهمّة أصحُّ وصف لها أنها همّة أنورية ولكن أبى الأعداء إلّا البغي والعدوان فقد باغتونا وحاولوا النزول على ضفاف البوسفور كأن لم يسمعوا إنشاده بهديره.

بأنور والأجناد إني ممنعٌ ولمس الثريا من ضفافي أقربُ

جموع الروس تأذننا بحرب ليدرك نسرهم أفق الهلال
فلما طار أيقن أن هذا مَحَالٌ في محال في محال

يريدون أن يطفئوا نور الله بأيديهم ويأبى الله إلّا أن يتم نوره.

أراد الأعداء المتفقون إرواء مطامعهم بامتلاك حوزتنا معتقدين تخيلاً ووهماً بأن العثمانية هي الرجل المريض ولكننا صحَّحنا اعتقادهم هذا وأفهمناهم بلسان سيوفنا ودوي رصاصنا ولعلة مدافعنا إن العثمانية هي الرجل الصحيح وانهم هم المرضى.

فخضنا غمار الحرب والحرب دأبنا دفاعاً عن الإسلام والمُلْكِ والوطن

أما الحرب فنحن أحق بها وأهلها لأنا قوم احرص على حب الاستشهاد من الأعداء المتفقين على حب الحياة.

ونحن أناس لا تَوَسُّط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
ونحن أناس لا نرى الموت سبَّة وما ضَرَّنا موت إذا جاءنا النصرُ

وتلك أيام الدردنيل أعظم شاهد ودليل أيام أنزل الله نصره على الجيش المظفر فتم له النصر المبين على أقوى قوى دول البر والبحر مما ليس كمثله في تاريخ الأولين فيا لله هذا الجيش ويا لله وكيل قائده العام وجوهر روح بسالته أنور باشا هذا. هذا الذي أثبت لعالم المشرق والمغرب أن الأمة العثمانية لم تزل معززة حية لأنها ترى أن عز الممات خير وسيلة لسعادة الحياة وسيبقى الظفر حليفنا وحليف حلفائنا البواسل إن شاء الله حتى تضع الحرب أوزارها ويومئذٍ يعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

إن يومنا هذا له ما بعده

يوم سيركم وأخاكم الجمال والجيش المظفر متكلين على الله لنجاة افريقية العثمانية الإسلامية من أيدي الغاصبين وترون الملايين من أهلها لكم بالانتظار إحياء لميت آمالهم يَسَّرَ الله لكم هذا وأعانكم على إنقاذ قفقاسيا وآسيا الوسطى فما بعدها من البلاد الإسلامية حتى يتم للمسلمين كافة حيثما وجدوا الانضمام إلى السلطنة العثمانية الكبرى سياسة وإدارة كما هم منضمون

ومرتبطون بعرش الخلافة الإسلامية العظمى قلباً وديناً وما ذلك على الله بعزيز.

أنوار أنور في بيروت مشرقة　　أهلاً بأكرم مولى شَرَّفَ الوطنا

أهلاً أهلاً يا مولاي تالله لقد قرّت عيوننا بتشريفكم ربوعنا وانا لنباهي بالترحيب بركن من أعاظم أركان الدولة وساعد قوي من سواعد الإسلام نرحب بكم ولكم في قلوبنا أسمى منزلة نرحب بكم معجبين بأعمالكم الباهرة فلطالما اقتحمتم المصاعب وعرَّضتم حياتكم الثمينة في سبيل الدين والمِلَّة.

فالله يبقيك لنا سالماً　　برداك تعظيم وتبجيل

لا أزيدكم علماً أيها الوزير الخطير أن البيروتيين جميعهم على اختلاف المذاهب والطبقات من أشد الناس إخلاصاً وصدقاً في العثمانية فهم بطبيعة هذا الإخلاص الصميمي يتشرفون بالعرض على مسامعكم السامية بأنهم جاعلون نفوسهم ودماءهم وأبناءهم ونفيسهم فداء وضحية في سبيل خطتكم المثلى معتقدين أن ذلك فريضة دينية بها يسعدون.

فمرْ تُطَعْ وأشر نمتثل لأنا موقنون أن حركاتكم وسكناتكم وحَلَّكم ومرتحلكم وأمركم ونهيكم كل ذلك لا تقصدون بها إلاّ خَيْرَ الإسلام وإعلاء شأن الدولة والوطن.

سعيتَ إلى الإسلام خيراً ومن سعى　　لإعلاء دين الله لا شك يُنْصَرُ
ينـاديـك واغـوثـاه ممـا ألـمَّ بـي　　فنـاديتَـهُ لَبَّيـك هـا أنـا أنـورُ
وقفتَ على الأعداء ترتقب الردى　　ففرّوا وفرَّ الموت خَذْلانَ يَنْظُرُ
وإنَّ جمالاً بالعُلى لمكمِّلٌ　　وأحمد محمود الصفات موقرُ
فدوماً لعزِّ المُلِك ركناً وموئلاً　　شعاركما الإسلام والله أكبرُ
بظل أمير المؤمنين رشادهم　　مليك به الأجناد يغزو فتظفرُ

* * *

ثم نهض صاحب الإقبال عبد الباسط أفندي الأنسي وفاه بخطاب موجز كما يلي:

يا حضرة الوزير الخطير والقائد الكبير

شرفتم بيروت فزرتم دياراً لا تزال تذكر قدومكم إليها منذ أعوام، حينما قصدتم انقاذ الأمة الإسلامية في برقة وطرابلس الغرب حيث مُدَّتْ إليها يدُ العدو الأثيمة.

شرفتم اليوم بيروت وصوت الإسلام يناديكم من مصر.

إنني في ضيق وضنك. فأنقذوني وطهروا هذه الديار من العدو كما طهرتم أرجاء عاصمة السلطنة من الأسافل الخونة.

شرفتم الديار السورية والنفوس تطير شعاعاً لمشاهدة محياكم «الأنور» وقد ملئت القلوب محبةً لذاتكم الكريمة. وقليل الأمراء الذين يعرفون كيف يملكون القلوب ويستأسرون الأفئدة.

يا دولة وكيل القائد الأعظم،

إن في سوريا نفوساً لا ترى الحياة إلّا بصدق الولاء للدولة الإسلامية العثمانية كيفما كان حالها. فكيف يكون اليوم مبلغها من الصدق والإخلاص وهي ترى من شخص دولتكم إسلاميةً متقدة وحمية مدهشة وبسالة خارقة ومحبةً صادقة.

أنقذتم منذ ثماني سنين ثلاثين مليوناً من ربقة الاستبداد المحلي. وأما اليوم فإنكم تنقذون ثلاث مئة مليون من المسلمين من ربقة الاستعباد الأجنبي.

وعليه، فجدير أن يطلق على ذاتكم الكريمة في تاريخ الإسلام اسم «منقذ الإسلام من استبداد القرن العشرين».

يا سيف الدولة القاطع وبدرها الساطع،

إن الملة الإسلامية، بل الأمة العثمانية، التي أحييت فيها روح الجندية المقدسة، وأيقظت في نفوسها معنى الجهاد الإسلامي الأكبر، تعترف اليوم بعظيم فضلك، وبعد نظرك، وقوة حزمك ومضاء عزيمتك.

ولقد شاهد وفدنا السوري الذي كان ذهب إلى ساحة الحرب ليبلغ أبطال الأمة وقساورها تحية إخوانهم السوريين ما أقامته يداك الكريمتان من

الاستعدادات العظيمة، والقوى الهائلة مما تطمئن به القلوب وتنشرح له الصدور. وقد عرفت الأمة الإسلامية أعزها الله - أنها أصبحت قائمة على دعائم متينة - من القوتين المادية والمعنوية.

وزيادة على هذا، فإن التاريخ سيسطّر لأركان وزارتنا الرشيدة على صفحاته البيضاء النقية بأحرف من نور، عملاً يفوق كل عمل - وهو تجديد روح الاتحاد الإسلامي، وإيقاظ الأمة الإسلامية إلى أن التضامن من الدين الذي يكفل بقاءها ويحفظ كيانها من تعدّي الأعداء.

إنني أتكلم اليوم أمام دولتكم باسم الصحافة العثمانية، وهي التاريخ اليومي الذي يسجل هذه الآثار الخالدة، وأجاهر مفاخراً بأنكم أنقذتم الصحافة العثمانية - من تلويث صفحاتها بذكر ما يؤلم من الوقائع التي كانت تمر على الأمة العثمانية بسبب أعمال القائمين بإدارتها من قبل.

حيّاك الله أيها القائد الكبير - وحيّا الله رجل الوطن، وروح الجيش صاحب الدولة قائد الجيش السلطاني الرابع وناظر البحرية الجليلة.

يا دولة قائد الجيش السلطاني الرابع،

إن أعمالك الغر الحسان التي ازدانت بها صحائف الأمة العثمانية قد عرفها كل فرد من أفراد البلاد السورية ويكفي الوطن فخراً أن يأتي بطل من أبطاله فيخرق التيه بأقل من سنة. مع أنه ضلَّ فيه أقوام زهاء أربعين عاماً - هذا عدا عن أعمالك العمرانية الجليلة من فتح المدارس وتعبيد الطرق وانشاء السكك الحديدية ومشارفة الكليات والجزئيات. والوقوف على شؤون السكان الذين يسطرون لدولتك هذه الأعمال الغر على صفحات القلوب بمداد الحمد والشكر.

مولاي الزائر الكريم - نور الأمة العثمانية،

نرفع إلى معاليك واجب التحية، وفريضة الاحتفاء باسم الصحافة السورية. الناطقة بعظيم فضلك. وجليل نبلك. ونحيي صحافة المحالفين لنا ولا سيما صحف الدولتين العظيمتين «ألمانيا» و«النمسا والمجر» بمناسبة قدوم

القادة الأماثل الذين حضروا بمعيتك. ونرحب باسم سكان الولاية البيروتية خاصة وباسم سكان القطعة السورية عامة جد الترحيب بقدومكم إلى هذا الثغر الباسم.

حيّاك الله يا دولة الوزير الخطير، والقائد الكبير. وحيّا دولة قائد الجيش الهمايوني الرابع - وأدم الله اللواء العثماني خافقاً فوق رؤوس العالمين. في ظل مولانا الخليفة أمير المؤمنين. وسندخل مصر إن شاء الله آمنين.

* * *

ثم بعد أن انتهى الطعام - نهض كل من دولة القائدين والولاة الكرام والقواد والأركان إلى ردهات التنفس والاستراحة وبعد أن تناولوا القهوة انصرف المدعوون يرتلون آيات الحمد والشكر على القواد الأكارم ويثنون على أخلاقهم الفاضلة - وما خصهم الله به من المكارم الجليلة والمزايا الحسان.

وفي الساعة السابعة زوالية من صباح الاثنين غص الجامع العمري الكبير بعلماء المدينة وأشرافها وأعيانها - ولما أزفت الساعة الثامنة أقبل صاحبا الدولة القائدان وبمعيتهما فريق من الأركان الحربية إلى الجامع فاستقبلا أجلّ استقبال وقد زارا مقام سيدنا يحيى الحصور صلوات الله عليه - وبعد الزيارة رفعت الأكف فدعا صاحب الفضيلة الشيخ عبدالقادر النحاس خطيب الجامع دعاءً بليغاً بحفظ الدولة وظفر جيوشها وتوفيق قوادها لخير الأعمال فأمن الجميع على دعائه - ثم بعد زيارة الضريح الشريف دخلا إلى حجرة «الشعرة النبوية الشريفة» التي فتحت لهما خاصة فقبلاها وكحلا أعينهما بها.

عند خروج دولة القائد من الجامع - تقدم فتى يبلغ التاسعة من العمر - وتلا بين يديه بيتين من الشعر مكتوبين على لوحة من الورق وبعد تلاوتهما قدمهما إلى القائد المشار إليه فمنحه منحة وتلطّف به غاية التلطف والغلام هو كامل أفندي نجل الشيخ سليم أفندي البابا معلم العلوم العربية في دار المعلمين وها هما البيتان:

إذا ما حلَّ أنور في مكان ... سمعت به صدى «الله أكبر»

وتسمع هاتفاً في القلب نادى يحل النصر حيث يحل (أنور)

ثم انطلقت الهيئة المعظمة من الجامع بين عزف الموسيقات وتصفيق الأهلين قاصدين دار الحكومة فتصدر القائد في البهو الكبير حيث اقتبل وفود الأهلين على اختلاف طبقاتهم ومعلمي المدارس وتلامذتها فكان أعزه الله يقابل كل واحد منهم بوجه بسام وأخلاق مرضية حتى سحر الألباب بباهي لطفه ورقّة شمائله الحِسان.

ثم في الساعة التاسعة وافى دولة وكيل القائد الأعظم وقائد الجيش الرابع مصحوبين بالقواد الكرام إلى ثكنة الفرسان وكان بانتظار دولتهما الأركان وهيئة بيروت المحترمة، وعند وداعهما فاه الشيخ شفيق المولوي شيخ السادة المولوية بطرابلس الشام[1] بدعاء بتأييد دولة الخلافة العلية وتوفيق قوادنا الكرام فكان لدعائه وقع عظيم في النفوس.

ثم سارت السيارات بين صدح الموسيقات والتصفيق الحاد من الألوف المنتشرة في تلك الساحات والباحات - قاصدين «عاليه» لتناول الطعام ومنها إلى دمشق.

وقد أهدت بيروت تقدمة إلى كل من القائدين العظيمين قلم حبر دقيق الصنع مرصعاً بالماس والياقوت منقوشاً عيه (بيروت في شباط سنة ٣٣١) كما أهدت لبقية الضيوف المحترمين أزرار قمصان من الذهب والماس لتكون تذكاراً إلى زيارتهم بيروت.

وفاضت أيادي عشيق الملة، ورجل الدولة زائر بيروت الكريم أنور باشا

---

(١) انتدبت حكومة طرابلس كلًّا من عبد الحميد أفندي كرامي مفتي الفيحاء وشفيق أفندي المولوي شيخ الدركاء المولوية والشيخ عبدالكريم عويضة والشيخ عبدالله المؤذن ومحمود بك المنلا ومصطفى أفندي عز الدين وفؤاد بك الذوق ونور بك علم الدين وخالد أفندي يحيى وحسن بك العجم وقيصر بك النحاس وعبدالرحمن أفندي عز الدين ومصطفى بك الكنج ومحمد كامل بك البحيري لاستقبال دولة أنور باشا في بيروت.

المعظم بخمس مئة ليرة عثمانية لتوزع على فقراء المسلمين المساتير في بيروت.

وتفضل حضرة القائد العظيم دولة أحمد جمال باشا بأربع شاحنات من الحنطة لتوزع على فقراء بيروت المسلمين.

ومن جملة من نالهم عطف الوزير أنور باشا فتًى بيروتي في الثالثة عشرة من عمره اسمه مصطفى أفندي فروخ قدمه لدولته ولدولة أحمد جمال باشا حضرة أحمد مختار أفندي بيهم من أعيان بيروت الفضلاء وبيده صورتان مكبرتان باليد من رسمه صوَّر بهما بطلي الإسلام أنور وجمال فصدر أمر وكيل القائد الأعظم أن يرسل هذا النابغة في فن التصوير إلى الأستانة وبعد أن يتغذى من العلوم اللازمة يرسل إلى أوروبا لإتقان صناعته.



أقوال الصحف البيروتية والشعراء
في قدوم بطل العثمانيين أنور باشا المعظّم

قالت **البلاغ**: يستقبل البيروتيون اليوم أكبر رجل عسكري في المملكة العثمانية، نعني به النابغة الكبير، والوطني الخطير، بطل الأمة والإسلام، وهادم صروح الظلم والاستبداد، صاحب الدولة والعطوفة:

أنور باشا

وكيل القائد الأعظم ووزير الحربية الجليلة

ولا نظن فرداً واحداً من أمم العالم بَلْهَ الأمة العثمانية يجهل من هو أنور باشا وكم تتشوق الشعوب لمشاهدة محيا هذا البطل الممتاز بأخلاقه ومعارفه وشجاعته ووطنيته وإقدامه وتفننه في ابتداع الخطط الحربية والوسائل العسكرية، فيحق للبيروتيين إذاً أن يغتبطوا برؤية محياه الزاهر، والاستمتاع بطلعته الزاهية.

ويجدر بنا وقد أصبح اليوم ضيف البيروتيين أن نأتي على نبذة صغيرة من أعمال هذا النابغة الكبير، بطل الانقلابات السياسية في المملكة العثمانية وصاحب الوقائع الخالدة في الحروب الأخيرة.

إن أنور باشا بين العقد الثالث والرابع من العمر، معتدل القامة صبيح الوجه يتلألأ نور الذكاء والدهاء على وجهه البسيم وتتجلى الشجاعة والبسالة بين عينيه البراقتين، تتجسم المهابة في محياه الوضاء ويملأُ الوقار طلعته

البهية، وقد تأصّلت الوطنية الصحيحة في فؤاده الكبير، منذ ذاق معنى الحياة، وأخذت تجول في رأسه فكرة رقي الدولة وفلاحها منذ شبّ ونشأ لهذا يمكننا أن نقسم حياته العسكرية إلى أربعة أقسام:

١- في إبّان الانقلاب السياسي

٢- في طرابلس الغرب

٣- في الحرب البلقانية

٤- في نظارة الحربية والحرب الحاضرة

١- في إبان الانقلاب السياسي

ولا نتخيّل فرداً واحداً من العثمانيين نسي أو ينسى ما كان لدولة وكيل القائد الأعظم اليوم من التأثير الكلي في الانقلابين السياسيين الأول والثاني اللذين بدلا أوضاع الدولة العثمانية وجعلاها دولة دستورية مقيدة بعد أن كانت دولة استبدادية مطلقة لهذا نحن لا نطيل الكلام في هذا المقام لأن ذلك معلوم لدى الخاص والعام.

٢- في طرابلس الغرب

ازداد نبوغ دولة أنور باشا ظهوراً ووطنيته وضوحاً بذهابه إلى طرابلس الغرب، عقب إعلان ايطاليا الحرب وتحمله مشاق الأسفار مدفوعاً إلى ذلك بميل فطري، وولوع هائل بوطنه وبلاده التي يراد منها جميع الأقطار التي يخفق عليها العلم العثماني المقدس.

ولسنا الآن في صدد تعداد جزئيات الأعمال وكلياتها التي قام بها بطل الانقلاب الكبير في طرابلس الغرب ونواحيها، وإنما نجتزىء بنشر شذرة صغيرة من مقالة ممتعة كتبها المسيو جورج ريمون في مجلة الإلِّستراسيون يوم كان مراسلاً حربيًّا لها في طرابلس الغرب في أثناء الحرب الإيطالية وعرّبها **البلاغ** في حينها ومن خلال مطالعتها يُفْهَمُ التأثير الذي تركه أنور باشا في نفوس العرب بطرابلس الغرب.

«إن تلك القوة السحرية التي تتلألأ في عيني أنور بك هي المحرك الوحيد الذي يدعو بواسل العرب إلى الاستماتة في الذود عن حياض العثمانية في صحاري طرابلس الغرب، وقد لاحظت أن أمراً سريًّا يدفعهم إلى اختراق الصفوف غير مبالين بإطلاق القنابل التي تقذفها عليهم الطيارات المحلّقة في الجو فشرعت اسأل نفسي عن ذلك السر فلم أقف على نتيجة رغم إعْنات الفكر وشحذ الذاكرة بيد أنني لم ألبث أن أُحِطْتُ علماً بكل شيء وعلمت أن العرب في طرابلس الغرب مشغوفون ببطل اليوم، وَلُعُونَ بفتى الانقلاب العثماني وابن الثورة السلمية.

إن من يشارف الأمور بنفسه لا يلبث أن يقتنع بصحة الخوارق التي يُحْدِثها أنور بك في درنة ولا أخال أحداً يحيد عن محجة الهدى إلّا إذا كان مأفون الرأي فاتر الهمّة.

هل يعقل أنَّ إنساناً لم يزل في غضارة الحياة يقدر أن يجتني من أفانين السعادة والغبطة ما يلذ الخاطر يهجر وطنه ومقر غبطته للإقامة بقطر هو كالجحيم في حرارة جوه الجاف ومائة الأسن الممقوت.

إنَّ الذي يرى أنور بك وقد أطلق من لحيته وترك شعره مسترسلاً على منكبيه معرضاً وجهه لحرارة القيظ لا يلبث أن يميل إلى الاعتقاد بأن هذا الرجل قلما يوجد مثله بين الناس وانه يجدر بالإنسانية أن تباركه وتقدس اسمه».

ثم ذكر المراسل الحربي ما أحدثه هذا البطل الكبير من التأثير في نفوس العرب وما له من الاحترام العظيم في قلوب القوم. ثم قال:

«رأيت من أنور بك أمراً غريباً وهو تفقده الاحداث بنفسه ومشارفته أمورهم بمفرده وأنّي لأذكر أنه تقدم من طفل صغير هو أقل سنًّا من بقية تلامذة المدرسة التي أسسها ذلك البطل فجثا على قدميه وأمسك الطفل بيديه وبعد أن نظر إليه قليلاً قال له بلهجة يتخللها الحنو الأكيد:

- هل اتقنت الأمثولة يا بني؟

فأجابه الطفل وهو لا يقوى على النطق:

- أجل يا أبتِ إني تعلمتها عن ظهر قلب.

قال فأسمعني إياها:

- فأطبق الطفل عينيه وقال: «الوطن هو طرابلس الغرب ولا راحة للإنسان إلّا أن يدافع عن وطنه والعدو هو إيطاليا ولا يتمكن الضمير من الإخلاد إلى السكون إلّا بفشل العدو ووالدي هو السلطان محمد الخامس ورضاء الوالد مقرون برضا الله ورسوله».

بمثل هذه المجاملة والمعاملة كان بطل الانقلاب الأعظم يستأسر قلوب القوم في طرابلس الغرب.

وهناك تفاصيل وحوادث لا تسعها الصحف تدل على شجاعة ضيف البيروتيين اليوم وبسالته النادرة، وحذقه العسكري الذي اعترف به العدو قبل الصديق.

٣- في الحرب البلقانية

لم يكد يعلم أنور باشا بفاجعة البلقان المشهورة حتى خف إلى دار الخلافة بسرعة أدهشت العالم، فتغلغل بين الجند العثماني في «چتالجه» ووطد الأفئدة، ووحد القلوب، ولما انتهى إليه أن وزارة كامل باشا تحاول أن تسلم أدرنة للبلغاريين، هاجَتْ به عواطفه الوطنية وأبى إباؤه العسكري أن يحدث مثل هذا الأمر الهائل، فتواثق مع رفقائه، وأخصهم القائد الكبير والسياسي الإداري الخطير أحمد جمال باشا قائد الجيش الرابع وناظر البحرية الجليلة فلم يمض حين من الزمن حتى كان كامل باشا في بيته وقد مزّق أبطالنا المذكرة التي كانت ستسل إلى سفراء الدول بتسليم أدرنة وقد كان لهذه الحادثة تأثير كبير في أوروبا ونقلتها الصحف الغربية بكمال الإعجاب والدهشة وأكبرت عمل بطلنا العظيم أنور باشا. ومما قالته جريدة الفرمدنبلاط «إنَّ أنور بك جدير بالإعجاب، وله مزايا شخصية جليلة يستحق عليها المدح بكل لسان. إن التاريخ سيسجل لأنور بك أجمل الأثر وسيعده من أبطال الوطنية».

وقالت النوفي فريميابرس: «لقد مزق البكباشي أنور بك الشاب من

جديد خريطة أوروبا تلك التي ذُهِلَتْ ودُهِشَتْ إذ أظهر الترك من آيات الوطنية منتهاها».

وبعد حين وفق أنور باشا في استرجاع أدرنة وعيّن لها قائداً عسكريًّا وقام بتحصينها تحصيناً هائلاً يستعصي على أعظم الدول وأكبرها أن تنال منها منالاً بعد الآن.

٤- في نظارة الحربية والحرب الحاضرة

عيّن أنور باشا لنظارة الحربية فكان تعيينه مبدأ فلاح جديد للجندية العثمانية إذ قلب أوضاع الجندية القديمة، وبدل الطراز العتيق وأدخل على الجيش العثماني روحاً جديدة، وابتدع قانوناً كان الغاية القصوى التي يسعى إليها محبّو الخير لهذه الدولة الإسلامية لأن من مضمون هذا النظام الجديد أن تكون الأمة العثمانية برمتها أمة مسلحة وشعباً حربيًّا مستعدًّا لخوض غمرات الحرب والنزال في أي وقت بدعوة المصلحة العامة للدفاع عن وطنه المقدس.

وقد تجلّت فوائد هذا النظام الجديد في هذه الحرب العامة التي خضنا غمارها؛ وكان لنا من الفوز والنصر في جميع الساحات الحربية ما طأطأت له الرؤوس اعترافاً وتقديراً لمكانتنا العسكرية الممتازة وعدا وضعه هذا النظام الجديد فقد أظهر مقدرة حربية عظمى في خلال حرب الدردنيل، جعلت لشخصه الكريم احتراماً زائداً في نفوس الأهلين على اختلاف ميولهم ولهجاتهم.

فنحن نحيي بشخص أنور باشا نابغة الانقلابات العثمانية، وبطل طرابلس الغرب، ومعيد الشرف العثماني في فاجعة البلقان؛ ورجل النهضة اليوم.

* * *

ويستقبل البيروتيون في الوقت نفسه محيي البلاد السورية ومصلحها، الحازم السياسي الكبير، والوطني الإداري العتيد، صاحب العزم والدولة:

أحمد جمال باشا

قائد الجيش الرابع ووزير البحرية الجليلة

والسوريون على اختلاف مللهم ونحلهم يعرفون من هو أحمد جمال باشا اليوم وقبل اليوم بيد أننا نأتي في هذا القمام على ذكر نبذة صغيرة من أعماله الجليلة ليزداد السوريون اطلاعاً على مآثر قائدهم العظيم الذي يتهيأ اليوم بجنوده البواسل للهجوم على مصر وإرجاعها إلى حجر أمها الرؤم.

١- في إبان الانقلاب

كان قائدنا الكبير أحمد جمال باشا أحد الأفراد النوابغ الذين خضدوا من شوكة المستبدين الظالمين، وأعادوا للأمة العثمانية حريتها المفقودة ووضعوا لها أُسس السير في مهيع[1] الاتحاد والترقي.

وفي الزمن الذي هدم فيه صرح الاستبداد والاستعباد ظهرت مقدرة قائدنا المشار إليه، وتجلّت كفاءته الإدارية والسياسية والعسكرية. فطفق يتقلب في الوظائف الخطيرة من حاكم بك أوغلي فولاية أظنة، فقيادة الاستانة، فولاية بغداد.

وقد أظهر في خلال ذلك حنكة ودراية، وحزماً وعزماً قَدَّرَهُ حق قَدْرِهِ كل من أُوتي نَصْفَةً وعدلاً.

ولما صعدت وزارة الشيوخ إلى كرسي الحكم أبى شرفه الوطني أن ينقاد لها فغادر بغداد مستقيلاً ووافى الاستانة، مع أنه يودّ بغداد من صميم الفؤاد ويرجو لها كل تقدم ونجاح يدلنا على ذلك حديثه لمراسل جريدة الإلِّستراسيون المسيو جورج ريمون الذي ألّف كتاب «مع المغلوبين» وأُهدي لدولة قائدنا المشار إليه خاصةً، قال إذ ذاك:

«انني لراغب في العودة إلى بغداد لبذل مساعيَّ في سبيل إصلاح تلك

---

(١) مهيع: طريق واسعة واضحة.

المواطن. يا لتلك المقاطعة الممرعة آهٍ إنّها مهجورة ومتروكة منذ زمن طويل وهي ذات أراض خصبة كثيرة النتاج تأتي بالفائدة العظيمة على أنّنا سنعمل على إحيائها وإعلائها بكل ما لدينا من الجهد إن شاء الله».

٢- في حرب البلقان

كان دولة القائد الكبير أحمد جمال باشا من رفقاء صاحب الدولة والعطوفة أنور باشا وكيل القائد الأعظم. يوم أنزلوا كامل باشا من كرسي الوزارة حيث عزم على إرسال المذكرة إلى حكومات أوروبا بقبول تسليم أدرنة إلى البلغاريين.

ومما يذكر من متانة عزم قائدنا المشار إليه، وقوة إرادته ووطنيته المجسمة قوله لمراسل الالستراسيون جورج ريمون حين حصار أدرنة في شهر شباط سنة ١٩١٢ وقد سأله عن سبب تشبث الدولة بهذه المدينة:

«إن أدرنة اليوم بمثابة صوت ينادينا بالاتحاد والوئام، صوت يدعو إلى اتحاد الذين يحتفظون بشرف العثمانية فإذا أخذ البلغار هذه المدينة وأخذوا الأستانة بعدها ثم أخذوا دمشق ثم الموصل ثم بغداد وبقيت أنا في البصرة مع خمسة عشر من العثمانيين فإني أطالب هناك بأدرنة».

فبمثل هذه النفوس المملوءة أملاً وحزماً وثباتاً بقيت أدرنة وتقدمت الدولة وفازت في هذه الحرب الأخيرة.

وقد عيّن أحمد جمال باشا بعد إسقاط وزارة كامل باشا محافظاً للأستانة فأظهر كفاءة مدهشة وحزماً متيناً وعزماً باهراً وكان دائم الجولان بين الأستانة وچتالجه يزور الجيش ويبث في أفراده روح النشاط والهمّة.

ولما قتل المرحوم شوكت باشا أظهر أحمد جمال باشا حزماً كبيراً أعجب به الأوروبيون والشرقيون إذ تمكن من اكتشاف المؤامرات وقبض على المؤامرين في أقل من لمح البصر ولما سأله أحد مكاتب الصحف عن إمكان إعداد الثورة أجابه فوراً: أنه لا يجسر أحد بعد اليوم أن يقوم بثورة أو بشغب أو بأي شيء يسمّى قياماً ما دمت في رأس هذه الوظيفة وما دمت حاكماً في الاستانة.

ولا ريب في أن هذا القول هو من جملة الاعتماد على النفس والثقة بالإرادة التي لا يُسَمَّى الإنسان نابغة إلّا إذا تجسمت هذه المزية في نفسه الكبيرة.

٣- في رأس الفيلق

وقد عيّن أحمد جمال باشا بعد حين قائداً للفيلق الأول في الاستانة فأظهر ما عهد بذاته الكريمة من المقدرة العسكرية الممتازة وأذكر أنه كان يبذل قواه لإيصال الجندي العثماني إلى الدرجة التي يتطلبها المجد العثماني الإسلامي ويصرف جهده لإفهامه خطورة التبعة الملقاة على عاتقه وهو يرغب في أن يكون الجيش العثماني بأسره يشعر بشعور واحد.

إن الشعور الواحد الحساس الذي يود أحمد جمال باشا أن يبثه في نفس الجندي العثماني هو شعور الدين أي أن يحترم الجندي دينه ليستطيع الزحف بجانب علم بلاده وهو يرتئي للبلوغ إلى هذه الغاية العالية أن ينهج في تدريب الجيش ثلاث خطط: التضحية، تربية الإرادة، إثارة التعصّب.

وهو يرى أن ينزع الضابط إلى تربية الجندي على هذا الطراز وأن يلبث آخذاً النفس به أكثر من نصف النهار وهو يسرد له الواجبات التي يتحتم عليه القيام بها سرداً يجعله مرتعداً كأنه اقترب من أتون ملتهب ضراماً.

وأحمد جمال باشا (كما قال جورج ريمون) يحمل نفساً لا يغلب وهو لم يشك يوماً من الأيام في فوز وطنه.

٤- في سورية

أظهر قائدنا الكبير أحمد جمال باشا في خلال إقامته في ربوعنا السورية كل ما أوتيه من ضروب الذكاء والعلم وجمع ما كان قد تفرّق من الشمل فالتفت عليه القلوب واشرأبت نحوه الأعناق واتجهت إليه الأنظار وتعلقت على همته الآمال في إنهاض هذه البلاد التعسة من وهدة الشقاء والبلاء إلى ذروة الفلاح والعلاء.

وقد كان - رعاه الله - حكيماً فطناً أدرك ما يتطلبه هذا الوطن فعمل على تحقيقه بعزمه المتين وإرادته القوية وطفق يهيئُ معدات النجاح بحكمته ورويته فبدأ بجمع القلوب حول نقطة واحدة وهي نقطة حب الدولة والوطن وأعقبها بالعمل على الاتحاد بين هذه الشعوب المتفرقة فأخذ زرعه يزهر ولا يلبث أن يجنيه ثماراً شهيًّا.

وهو دائم العمل لكل ما فيه الخير المحض لهذه البلاد فيبعث بالوامر تترى إلى الحكام والولاة يطلب إليهم التذرع بكل وسيلة وراء عمران البلاد ورقي أحوالها المادية المعنوية والسعي في إصلاحها ونظافتها وهندستها على مثل ما تجري عليه البلاد الناهضة الراقية.

وقد علم أن البلاد لا تصل إلى الدرجة القصوى من الرقي إلّا إذا تأسست الطرق، وأُنشئت السكك، وأُمنت السابلة. وفتحت دور العلم. فعمل على تحقيق كل هذه الأمور الضرورية. فبنى الطرق في معظم المدن والقرى. وانشأ الخطوط الحديدية فأمرعت البلاد. وتواصل السكان. وأصدر أوامره المشدّدة بالانتباه التام إلى راحة الرائحين والغادين. فسرت السابلة. وثلجت صدورهم فرحاً مما رأوه من الأمن والهدوء والسكون في السبل التي يجتازونها ثم أمر بإيجاد دور العلم وكانت أعظم مدرسة أسسها المدرسة الصلاحية. تلك المدرسة الدينية التي سيكون لها شأن وأي شأن في رقي هذا الوطن السوري. وسيذكر السوريون هذه المنة لدولة القائد الكبير بكل شفة ولسان وفي كل حين وزمان.

فالبيروتيون اليوم يحيون بشخص أحمد جمال باشا رجل الحزم وقوة الإرادة ومطفيء الثورات ومحيي سورية.

* * *

قالت **الإقبال**:

ترحيب الإقبال بسيف الدولة القاطع وبدر سمائها الساطع

الوزير الكبير والقائد الخطير

صاحب الدولة والمجد أنور باشا المعظم

وكيل القائد الأعظم وناظر الحربية الجليلة زيد جلاله ودام إقباله

[بإقبال] بدر الدولة (الأنور) ازدهى حمانا الذي فيه (الجمال) تجسما

فلا تعجبوا إنْ زاره متكرماً فمن دأب رب (العزم) أن يتكرما

تحتفل اليوم مدينة بيروت، باستقبال رجل الدولة ووكيل قائد الأمة الأغظم وتبتهج بالاحتفال بضيفها الكريم، وزائرها العظيم صاحب الدولة والإقبال **أنور باشا** ناظر الحربية العثمانية فهي تشارك أنحاء البلاد السورية في هذا الاحتفاء الذي لم ترَ الأمة منذ أجيال وعصور له شبيهاً.

رأَت البلاد السورية رجالاً وعظماء يزورونها، تحتفل الحكومة باستقبالهم، ولكنها لم تر رجلاً عظيماً تحتفل القلوب وتتسارع الأفئدة إلى استقباله، وتتسابق الأرواح مع الأجساد للاحتفاء به مثل زائرنا الكريم اليوم «أنور باشا» العظيم.

إذا لم تكن القلوب مشاركة للألسن في استقبال العظماء فلا بهاء ولا سناء لكل احتفال يقام، أو استقبال يرتب، أما اليوم فإن قلب الصغير في سريره، والكبير في عمله، والمرأة في خدرها، والحارث في حقله، والصانع في معمله يقابل وكيل القائد الأعظم «أنور باشا» بكل بهجة وسرور وقد اتفقت ألستهم على أن زائرنا اليوم هو حياة الامة وحصنها الحصين وملاذها المنيع.

هنيئاً لدولة بني عثمان، وبشرى للعثمانيين برجال حكومتهم الحاضرة الذين استأسروا القلوب بأعمالهم، وامتلكوا الرقاب بحسن سجاياهم وفضائل مزاياهم، واصطادوا الأفئدة بتدبيرهم وكياستهم لا بقوة بطشهم وشدّة بأسهم، فالقلوب يستأسرها المعروف والإحسان والظواهر يستعبدها السيف أو الذهب الرنان.

إن زائرنا الفخيم قد ملك القلوب بفضله، واستعبد الأفئدة بنبله فهنيئاً للأمة العثمانية بمثله، وهنيئاً لبلادنا السورية أن تحتفل مثل هذا الاحتفال الذي لم يرَ مثله ولن يُرى.

لا نريد أن نطيل القول في وصف فضائله الذاتية فقد امتزجت معرفتها بأرواح عامة الأمة فضلاً عن خاصتها ولكننا نذكر لمحة من أمهات الأعمال التي قام بها وزيرنا العظيم لتكون ذكرى تاريخية لتفضله بزيارة بيروت:

كانت مبادئ أعماله التي ظهرت للأمة أن فادى بنفسه وجاهر بدك صروح الاستبداد في مكدونية، وأعلن الدستور أمام قوة السلطان السابق، فكانت يده أول يد انتشلت ثلاثين مليوناً من العثمانيين وأنقذتهم من ربقة الاستبداد.

أتم وظيفته الوطنية وعاد إلى مركزه القديم، ولما أن رأى شرارة الرجعة الاستبدادية آخذة بالاشتعال زحف على عاصمة السلطنة فأخمد فتنة ٣١ مارت (آذار) وأنجز ما وعد به الأمة من الفضل الكبير فاستتب ركن الدستور وتولى أمر الملك جلالة سلطاننا الدستوري - الغازي «محمد رشاد خان».

ترك البلاد العثمانية وذهب إلى برلين عاصمة محالفتنا المانيا فأكد أواصر المحبة والوداد وبذر بذور الاتفاق فكانت له اليد الفعالة بإيجاد هذا الاتفاق الذي كان الحياة الكبرى للأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها.

ولم يشعر دولة الزائر الكريم بتعدي أعداء الإنسانية على طرابلس الغرب حتى هجر مضجعه وذهب قاصداً هاتيك الأصقاع ولقد كان لبيروت في ذلك الحين حظ من زيارته الخفية حيث بات فيها ليلة واحدة وسافر إلى «برقة» فأخذ يعضد المجاهدين ولبث بينهم زمناً غير يسير فعرف المسلمون في الأنحاء المغربية أن رجال الحكومة هم أليق الناس في الأمة لخدمة الإسلام والمسلمين ولا يزال اسم «أنور باشا» محترماً لا يذكر إلّا بكل تعظيم وتكريم.

انطلق من البلاد الإفريقية بِحَرِّها. إلى الأصقاع الأوروبية بقرها. فحارب في صفوف الجيوش العثمانية في الحرب البلقانية. ولما شعر بأن الضعف منشأوه من الشيوخ القابضين على زمام الحكم في الباب العالي قام

بأمر الانقلاب الأخير فأزال وزارة الذين كادوا يودون بدولة الإسلام والمسلمين إلى الدمار، ثم اندفع برجاله إلى بولاير فأوقف جيوش الأعداء وزحف على أدرنة فاستردها وتمكن بفضل سيفه وسياسته من حفظ كيان الدولة العثمانية وأرجع إليها شيئاً من السمعة التاريخية التي أضاعت قسماً منها بسوء سياسة تلك الوزارة.

تولى بعد هذا وزارة الحربية فأعارها اهتمامه واعتناءه ولم تمض مدّة قليلة حتى أتم عدداً كبيراً من المصانع الحربية والاستعدادات العسكرية وما كاد يعلن قانون العسكرية الجديد الذي يجعل الأمة العثمانية دولة في مصاف الدول المنظورة حتى أعلنت الحرب العامة. ولولا سيف زائرنا الكريم وسياسته لكانت الأمة العثمانية لا تعلم مستقرًّا لها في هذا العالم.

وقفت الدولة العثمانية في وجه أعدائها الأشداء وقفة الأسود البواسل ولا ننسى بعد ما قاله دولة القائد العظيم في مجلس الأمة مرتين فوقع ما قاله حرفاً بحرف فقد قال في المرة الأولى: «انني لا أخاف على الأمة من الأعداء مهما كثر عددهم ومهما اشتدت عدتهم فإن في قلوب الجيش العثماني متاريس فولاذية لا تؤثر بها قنابلهم الكبيرة» ثم قال: «إننا ندافع اليوم في مواقفنا وسننتقل إلى دورة الهجوم فترون الأعداء يفرون أمامنا» ثم وقف مرة ثانية بعد طرد الأعداء من كليبولّي فقال: «إننا طهرنا شبه الجزيرة من تلويثات الأعداء وان أكثر من مليوني جندي عثماني سيحولون مجرى الدفاع إلى خطة الهجوم».

ولقد صدق دولة القائد العظيم فيما قال وما تذكر الأمة له من الأفعال الناصعة القرار في هذه الحرب من هجماته الغضنفرية والتدابير العسكرية والحركات الحربية ما سيسطر على صفحات من ذهب في تاريخ هذه الحرب العامة.

أما زيارته للبلاد العثمانية ونظره في مواقف جيوشها نظرة القائد البصير فهو من أعظم ما يسطره التاريخ لأكبر القواد في العالم ولولا اطمئنانه وثقته من حسن مواقف الجيش العثماني في مواقع الحرب لما كان يتزحزح من مركزه

في عاصمة الملك. وهذه بشرى صادقة تتلقاها الأمة بكل ارتياح وقبول.

يزور دولة القائد العام مدينة بيروت ماراًّ بالقطر السوري فترقص له القلوب فرحاً وتتهلل لقدومه الوجوه بشراً وترفرف حواليه الأرواح بهجةً وسروراً وما تقابل الأمة اليوم إلّا رجلاً جمع بين حكمة السياسة وشريف الكياسة وصداقة الأمة ومحبة كل فرد من أفراد الشعب المتفاني في الصدق والولاء للحكومة الحاضرة.

على الرحب والسعة أيها القائد العظيم وسيصدق ظنك بأبناء هذه البلاد الذين درجوا منذ نعومة أظفارهم على الصدق والولاء للحكومة العثمانية وهم ينتظرون الفرص لإظهار ما تكنّه قلوبهم من محبة الناهضين بهذه الدولة. فهنيئاً للدولة بمثلك أيها الرجل الكبير وهنيئاً للملك بأمة لا تنطوي قلوبها إلّا على محبة الصادقين من رجالها.

* * *



قالت جريدة الإخاء العثماني

رجل الدولة العظيم

قومي يا بيروت والبسي حلل الزينة واستقبلي رجل الدولة العظيم

تيهي يا بيروت عجباً فقد وطيءَ ثراك محيي البلاد ومعيد مجدها ومعلي منارها وحامي ذمارها.

تهلّلي يا بيروت فقد زارك بطل الدستور الذي منح البلاد الحرية والعدل والمساواة.

يحق لك يا بيروت أن تتباهي بزائرك والساهر على راحة البلاد وسعادتها ورفاهيتها بعين لا تنام.

يحق لك أن تفتخري بضيفك الكريم الذي أنهض البلاد من كبوتها وجعل لها في العالم المقام الرفيع.

يحق لك أن تبتهجي بقدوم من أقام للبلاد سياجاً وقف الأعداء أمامه أذلاء صاغرين.

اهنئي يا بيروت بزيارة الرجل الكبير الذي حفظ للبلاد الشرف والاستقلال.

اهنئي بمن نشر في البلاد الأمن وأقام القسط بين الناس.

اهنئي بمن طهر البلاد من أدران الفساد وبنى لها أساساً لا يتزعزع.

اهنئي بمن يفادي براحته في سبيل راحة الأمة وينسى رفاهيته في سبيل رفاهية الشعب.

اهنئي يا سورية برجل الدولة العظيم القادم إليك ليتفقد شؤونك ولينظر في احتياجاتك. فإنه مع المهام العظيمة الكثيرة الملقاة على عاتقه في هذه الأيام يجوب البلاد باحثاً عن الأسباب التي تعود على الأمة بالراحة والهناء.

يحق لك يا سورية بل ويا جميع البلاد أن تطرحي نفسك على أقدامه وتبسطي له القلوب ليحل فيها على الرحب والسعة. فهو الرجل الذي لو قدمت له المهج والأرواح لبقيت مقصرة في جانب ما له عليك من الفضل ولكن حلمه واسع وكرمه عظيم.

فافتحي الصدور وقولي أهلاً بالزائر الكريم.

أهلاً بك يا من أنعشت البلاد وأحييت ميت آمالها وبدّدت الغيوم المتلبدة في سمائها ورفعت شأنها وعزّزت جانبها وقهرت أعداءها وهيأت لها مستقبلاً مجيداً.

أهلاً بك يا بطل الدستور والمحافظ عليه ويا موجد الحرية والعدل والمساواة وحاميها.

أهلاً بك يا من كنت للبلاد خير نصير في النكبات دفعت عنها عادية الملمات ورفعتها إلى أعلى الذروات حتى أصبحت جميع الممالك تغبطها على ما بلغته من السعادة والمجد بفضلك ومضاء عزمك وشدة بأسك.

أهلاً بك يا من وقيتها شر الأعداء في الداخل والخارج وأبعدت عنها كل شر وأدنيت منها كل خير.

أهلاً بك يا من أسرعت إلى طرابلس الغرب حين غزاها الطليان سالباً راحتك وقرارك دفاعاً عن الوطن العزيز فكنت تتوسد الغبراء وتلتحف السماء متحملاً أعظم المشقات في سبيل شرف الملك فعلمت المجاهدين كيف يكون الجهاد.

أهلاً بك يا من وقفت في المجلس الأكبر المنعقد من أركان رجال الدولة إبان حرب البلقان والذي أقر على التسليم. فصحت فيه صيحة تجاويت أصداها في أطراف العمور وأوقفت المجلس عن ذاك القرار المشين وحفظت

للدولة شرفها الذي كادت تفقده بذاك القرار واسترجعت أدرنة التي كان فقدها قد أدمى أفئدة العثمانيين.

أهلاً بك يا من أخذت بعد حرب البلقان في تنظيم الجيش وتعزيزه ليكون سياجاً للدولة تقف صاغرة عنده جيوش الأعداء.

أهلاً بك يا من رددت كيد الدول المعادية في نحرها. فهي التي كانت تحاول العبث باستقلال بعض الولايات بغية القضاء على ذلك الاستقلال فعاقبتها بإلغاء امتيازاتها التي تمتعت بها وأثقلت كاهل الدولة عدّة أحيال.

أهلاً بك يا من جعلت مضيق «جناق قلعة» أمنع من جبهة الأسد وفتحت للأعداء قبراً على بابه ابتلع عدداً من السفن وعشرات الآلاف من الجنود فكان مصير الإنكليز والفرنسيس الطرد تاركين الغنائم وراءهم بعد أن ظلوا سنة كاملة يحاولون فتح المضيق

أهلاً بك يا من أقمت في القوقاس وفي العراق أسوداً حماة للوطن يحصدون من الروس والإنكليز الرؤوس ويعلمونهم كيف يكون جزاء المغتصبين.

أهلاً بك يا من أعددت جيشاً منظماً ليغزو مصر بل ليعيدها إلى حظيرة الخلافة ويخلصها من مخالب الإنكليز المغتصبين وأقمت على رأسه أخاك دولة القائد الكبير والإداري الخطير أحمد جمال باشا الذي استكمل الأسباب لاسترجاع ذلك القطر السعيد الذي يرزح منذ ثلاثة وثلاثين عاماً تحت نير الإنكليز وينظر إليك وإليه متوسلاً طالباً الخلاص.

إن سورية وما جاورها مدينة لدولة جمال باشا الذي ما فتئَ يرعاها بعنايته ويدير شؤونها بدرايته ويشفق عليها بحنوه ويحكم فيها بعدله ويرقيها بحكمته واضعاً الأساس الوطيد للمستقبل المجيد.

فأهلاً بك وبه واعلما أن العيون شاخصة إليكما والأرواح متهافتة لتطرح على قدميكما. واعلما أننا إذا قدمنا الأنفس قرباناً فلا نقوم بالواجب علينا نحوكما. ولكن هي أعز ما لدينا فاقبلاها عربوناً للإخلاص واصفحا عن تقصيرنا بالواجب فأنتما خير من صفح.

قال جورنال بيروت:

وهاك تعريبه:

إلى دولة أنور باشا وكيل القائد الأعظم وجمال باشا قائد الجيش الرابع ضيفي بيروت اليوم

إلى صاحب الدولة أنور باشا:

دع الجماهير من بعيد تهتف لك وتحيي فيك الجندي المقدام الذي يفتخر بما تركه خوض غمار الحروب من الآثار على صدره.

دعهم يهتفوا ويبالغوا مترنمين بما فيك من العظمة والنبوغ وبما في قلوبهم من الحب لك وليتموج الهواءُ بأصوات الظفر على نغمات القيثارة والبوق.

عندما كانت عاصمة الملك ممزقة الأحشاء تدعو أبناءَها إلى نجدتها بصوت ملؤه الألم وافيتها بسيفك وحكَّمته في لحوم البغاة الظالمين.

إن صهيل جوادك ما زال يرن في بوادي افريقية وحواضرها وها أن أدرنة ترفع رأسها معجبة عندما يذكِّرها هبوب الزوبعة باليوم الذي استعدتها فيه حين وقفت على إحدى الروابي مقطب الجبين وناديت أبطالك البواسل قائلاً، «في سبيل الهلال والوطن».

لقد انتقم الوطن لنفسه بذراعك يا فاتح أدرنة الذي وضعت نصب عينيك إعادة أمجادنا الممتهنة على قواعدها القديمة.

كنا نريد من وقت طويل أن نراك ونعرفك وكنا واثقين من عهد بعيد أن صدرك يحمل قلب بطل وطلعتك تنمُّ عن سيد عظيم وفي ذراعك ذراع آخذ بالثأر حام للذمار.

وكنا نشعر إذا مرّت بنا صلصلة السيوف وهتاف الشعب وأصداء المجد بذكرى الحوادث العظيمة التي قام بها الأجداد فتكبر بها نفوسنا. ألا فليكن من شجاعتك وأنت تحمل شرف السلطنة المقدسة وأقدارها ما تأتي به سكان مصر

بالعجب العجاب خصوصاً وأنت تقطع إليهم الصحاري.

* * *

استيقظت المدينة في هذا الصباح متسربلة أبهى الحلل وأصوات الأفراح متصاعدة من كل جوانبها والشوارع والأبنية والمخازن والبيوت غاصة بالناس على اختلاف مللهم ونحلهم.

ماذا جرى؟ لماذا يُعَيِّدُ البيروتيون في هذا النهار نهار الأحد؟

لقد تحقق اليوم أمل عظيم من آمال البيروتيين فسيصل إلى مدينتهم نحو الساعة الثالثة بعد الظهر دولة أنور باشا وكيل القائد العام لجيوش البر والبحر وناظر الحربية.

إن ذكر اسم أنور باشا يورث العدو اضطراباً والوطني حماسة والطفل ابتهاجاً والجندي حماسة لا نظير لها لأن أنورٍ هو بطل العثمانية ومنقذ الوطن من الخطر - هو البطل الذي حطم قبل الجميع سلاسل الظلم والاستبداد وها هو ساهر على استقلال ميراث الأجداد فالوطن معلّق عليه كل آماله.

عندما نذكر اسم أنور يتجلى لعيوننا تاريخنا الحديث عن غير قصد فتمرّ أمامنا صورة الماضي المظلم الذي كان الشعب يئن فيه تحت النير الحميدي وقد كان الوطن في ذلك الحين أمام هاوية الهلاك.

تحاول كل من انكلترا وفرنسا وروسيا أن تمد مخالبها إليه بعد مقابلة ريفال ففي ذلك الحين نهض رجل عظيم وأطلق الشرارة الأولى لثورة سنة ١٣٢٤هـ (١٩٠٨م) وأنقذ الوطن المشرف على الهلاك بضربة واحدة وهذا الرجل هو أنور وصديقه المرحوم نيازي الذي ذهب شهيد حماسته.

نشأ أنور في حضن أُسرة كريمة تسلسلت معها تقاليد العنصر التركي الكريم برمتها وكان منذ نعومة أظفاره يبث روح تلك التقاليد في إخوانه حتى تمكّن من إيجاد حياة جديدة في الوطن الذي كان يمتهنه اعداء من الداخل والخارج وما كاد يصل إلى درجة ضابط حتى طلب أن يكون في جيش مكدونيا حيث يستطيع أن يصبح مطلق اليد في أعماله فتمّ له ما أراد وأصبح من أعظم

العاملين في سبيل الدستور كما أصبح بعد ذلك من أعظم المدافعين عنه.

وقد كان أحد أولئك الأفراد البواسل الذين دمّروا صروح الاستبداد وشادوا قصور الحرية والإخاء والعدل.

كان أنور باشا بطل الموقف كلما كانت البلاد في خطر.

عندما سادت حركة الرجعي الحميدية على العاصمة رأينا أنور متراكضاً في رأس السلانيكيين لإنقاذ العاصمة والدستور.

وما كاد ينصرف إلى أعماله حتى اضطر إلى ترك كل شيءٍ والإسراع إلى طرابلس الغرب التي كان الطليان الأدنياء قد مدوا أيديهم إليها فهرع إلى الدفاع عن الوطن مفادياً براحته في سبيل الواجب الوطني تحت سماء إفريقية المحرقة وكان مقامه بين القبائل عديم النظير. ولما كان يزحف على الأعداء في طليعة جنوده المتطوعين من القبائل والوطنيين كانت الأرض تميد تحت أقدامه والرعب يأخذ من نفوس أعدائه.

ولقد اتفقت الصحف الأوروبية حتى المعادية منها في الثناء على بسالته وشجاعته وميزته العسكرية ولا عجب فقد أوجد في وقت قصير جيشاً منظماً من الوطنيين يرهب الطليان بأُسه وكان يساعده في أعماله فتحي بك أحد ضباطنا المتفانين البواسل.

فإذا كانت طرابلس الغرب قد تمكّنت من الدفاع سنتين بطولهما فما ذلك إلّا بفضل تهالك دولة أنور باشا وبسالته ولو كان المركز الجغرافي أكثر ملائمة لما استطاع الطليان على مدى الأيام الاستيلاء على طرابلس الغرب.

وبعد حين يسير عرض لنا طارئٌ جديد فخضنا غمار حرب ثانية في حين أننا لم نكد ننفض عنا غبار الحرب الأولى فامتشقنا السيوف باسمي الثغور هازئين حتى بالاضطرابات الداخلية.

ومع كل الاضطهادات والدسائس التي قام بها أعوان كامل باشا ووزارته قام الوطنيون الحقيقيون كأنور وجمال بواجباتهم ولكنهم ماذا يستطيعون أن يفعلوا تجاه حكومة ضعيفة الرأي قصيرة النظر؟

سارت البلاد مرة أخرى نحو الخراب وقام في وجهها أعداءٌ أقوياء تعضدهم أوروبا الاتفاقية ووجهوا عزائمهم لاقتحام جدران العاصمة فطفح الكيل وجعل الوطنيون الحقيقيون يذرفون الدموع وقضت الحال بتمزيق العصابة التي عولت على بيع البلاد.

وكان أن عقد كامل باشا مجلساً وطنيًّا ليس فيه من لاوطن سوى اسمه وعزم على عقد صلح معيب فظهر في ذلك الحين أنور وإخوانه جمال وطلعت وجاويد وجاهد وخليل والمرحوم محمود شوكت والحاج عادل وأمثالهم وقلبوا الوزارة وعاد الذين أوجدوا الدستور إلى استلام أزمة الأحكام فهتف لهم الشعب العثماني بأجمعه هتاف الفرح وما لبث محمود شوكت باشا الذي أصبح صدراً أعظم أن رفض شروط الأعداء وزحف أنور باشا في طليعة فريق من البواسل فاسترجع أدرنة التي كانت قد اضطرت إلى التسليم بعد حصار شهور عديدة فازداد تعلّق الجيش والشعب بهذا الرجل النادر المثال بعد استرجاع أدرنة.

وبعد الفاجعة بمقتل محمود شوكت باشا جُعِلَ أنور النابغة العسكري الوطني وزيراً للحربية ورُقِّيَ إلى رتبة باشا فتجلّت فيه صفات رجل متعلم عظيم يتبع الغاية التي وضعها نصب عينيه بهمة لا تعرف الملل.

ومن ذلك الحين جعل يوالي سعيه آناء الليل وأطراف النهار في تنظيم الجيش الذي ضعضعته الحرب البلقانية وفي الوقت نفسه كان زميله جمال باشا ينظم الأسطول الذي ظهرت دربته في المعارك الأخيرة فبعد وقت يسير تعزّز الجيش والأسطول وسارا خطوات عديدة نحو الكمال.

وفي أثناء ذلك تلبد الجو بالغيوم وبدأت الدلائل تدل على قرب هبوب عاصفة هائلة فأدرك أنور وزملاؤه الخطر مما دل على عظم تبصرهم وعرفت الوزارة ما وراء الأكمة فظهر أنور باشا من أقوى رجال السياسة فوضعنا أيدينا في أيدي الدول الوسطى نشاطرهم السراء والضراء بيدَ أن دول الاتفاق كانوا يمكرون رياء ويلتمسون حفر هوة يلقوننا فيها مغلظين لنا إيمان الحب والولاء مبتسمين ابتسام يهوذا. ولكن باءت مساعيهم بالفشل ومددنا يد الإخلاص

والولاء إلى حليفتينا المانيا والنمسا وانضمت إلينا بلغاريا بعد حين وبذلك وضعنا أساساً مجيداً لمحالفة عظيمة مؤسسة على المصالح الحقيقية المشتركة حبًّا بخير الإنسانية المهدّد بجشع الاتفاقيين وأنانيتهم.

ولا حاجة إلى التبسط في القول لأن في نتائج الحرب الحاضرة ما يغني عن الإسهاب.

في بدء الحرب هاجم الروس الغادرون قسماً من أسطولنا في البحر الأسود فتحوّلت جميع الأنظار إلى رجل واحد وتعلقت عليه كل الآمال وكنا جميعاً واثقين أن هذا الرجل الذي هو أنور باشا لا بد أن يسير بنا إلى الظفر الأخير فبعد حرب دامت أشهراً عديدة تلاشت آمال الأعداء كل التلاشي باختراق المضيق والاستيلاء على الاستانة عاصمة السلطنة ومقر الخلافة وأُكره العدو على العدول عن هذا المشروع وكان جنودنا البواسل بقيادة النابغة أنور باشا يسحقون الأعداء الفائقين علينا بعددهم حتى نالوا من الأمجاد ما يفتخر به النسل المقبل إلى الأبد.

وقد أظهر جنودنا البواسل في كل جبهات القتال انهم خير أحفاد لأولئك الأجداد الأبطال في دفاعهم عن حوزة الوطن العثماني على أن روح أنور باشا هي التي بثّت فيهم شدّة الباس وقوة المراس.

بيد أن ما نفعله في سبيل حياتنا الوطنية الحرّة لم ينته بعد فما زال أمامنا أعداء لا بد لنا من قهرهم وستتمكن بعون الله من نيل الظفر الأخير فإن أمة في حيشها مثل أنور وجمال تستطيع أن تثق بالحصول على نتيجة سعيدة عاجلاً أو آجلاً.

فبيروت تفتخر أن حلّ فيها ضيفان كصاحبي الدولة أنور باشا وجمال باشا وها نحن نرى والسرور آخذ منا أن الاستعدادات الحماسية التي أجراها الأهالي لاستقبال الضيفين العظيمين هي خير دليل على أن البيروتيين قد قدّروا هذه الزيارة السامية حق قدرها فنحن نرحب بهما بمزيد الاحترام ونضرع إلى الله بأن يتمم مقاصدهما الشريفة.

وهاك تعريبها:

إلى دولة أنور باشا،

لمن تقام الزينات وتخفق الإعلام وتعيّد المدينة ويرتفع هتاف الظفر من الحماسة إلى الاستعداد لاستقبال عظيم؟

أي بيروت؟ كم قد مرَّ من الملوك في سالف الزمن بين جدرانكِ فلم تأخذك نشوة طرب كهذه النشوة التي تخفق لها كل القلوب وتنبعث نوراً من كل العيون.

- ها أن الجماهير تتهامس قائلة: لقد مرَّ جنديّ».

- ولكن أي جندي!

أيها القائد العظيم! إن في جبينك الشريف المضفورة عليه أكاليل الغار رمزاً ترقص له قلوب جميع العثمانيين على نغم أبواق الظفر الهاتفة حولك. فيا أيها النابغة العظيم المتجسمة فيك آمال المملكة تعال وانعش القلوب بنظرة من نظراتك وادفع هذا الشعب الذي جعلك موضوع حبه وإعجابه إلى السير على خطواتك.

* * *

عندما كان نير الدور السالف متحكماً في أعناقنا وكان قادتنا ظُلاَّمَنا وصراخ ألوف من الضحايا من البوسفور حتى الجسر تصم له آذان السماء رأينا سيفك يضطرب ثائراً ويبعث من سلانيك إلى عاصمتنا نار الحرية المقدسة وقد نصبت علم الهلال على مرتفعات الأجداد. إن قباب أدرنة ما برحت ترن كلها باسم البطل العظيم أنور باشا المقدس وستردد على الدهر تحت عقودها المرنَّة بهتاف الظفر «پادِشاهِم چوق ياشا».

* * *

لقد حفظت مجدك صحراء افريقية إلى اليوم الذي ينشد لك فيه السنوسيون أناشيد الذكرى تحت نيران المدافع ويستعينون باسمك لنيل الظفر.

* * *

عندما كانت كليبولي مهددة بالخطر وقفت حارساً عليها إلى أن انكسر العدو وتقهقر ذليلاً فرأى العالم جميعه في معارك الدردنيل نبوغك الذي لا يغلب وبسالة جنودك وها أنت في هذا المساء واقف على مرتفع ذاك الرأس تشير بسيفك إلى إخواننا الذين وراء البحر فتجعلنا نضيف إلى أمجادك العديدة أكاليل مضفورة من الغار ونخيل وادي النيل.

قصائد الترحيب

ببطلي الأمة وقائدي جيشها الكبيرين
صاحبي الدولة والمهابة
(أنور باشا وجمال باشا)



قصيدة السيد محمد حبيب العبيدي

نزيل بيروت

مرحباً بالأسودِ والعقبانِ   قد تجلّتْ بصورة الإنسانِ

مرحباً بالبدور تمشي على الأر   ض وأفْقُ السماءِ منهنَّ داني

مرحباً بالهلال يخفق من فو   ق نجومٍ من دونها النّيران

مرحباً بالهلال يحميه جيشٌ   حَسْبُهُ فخراً أنَّه عثماني

مرحباً بالنسور تقبض جَنْحاً   بَسَطَتْ ظِلَّه على كيوان

مرحباً بالأبطال من نمسوي   مجري وآخر الماني

فعلى الرحب يا جنود العالي   وعلى الرحب يا أسود الطِعَانِ

* * *

أيها الوفد أنت عين علاها   وجمالٌ وأنور الناظرانِ

يا رعى الله منكما دهر خيرٍ   أنتما الدهر أيها الإخوان

تُرَحِّبُ الأرضُ والسماءُ بجيشٍ   أنتما في سمائه الفرقدان

يَزْعَمُ الناس إنما هي شمسٌ   غَلِطَ الناس بل هما شمسان

إنْ يَكُنْ في السماء شمسٌ ففي الأر   ض كما يُبْصِرُ الورى ثْنَتَانِ

ولئن كان تلك تلقى افولاً   إنَّ هذين قَطُّ لا يأفلان

فهما بالإلّه معتصمان   وبِعَينِ الرسول ملحوظان

لـهـمـا لـلـبـقـا مـآثـر شـتّـى كـل شـيءٍ دون الـمـآثـر فـانـي

* * *

حَـظـيَ الـديـن مـنـكـمـا بـكـريـمـيـ يـن عـلـى الله أيـهـا الأكـرمـانِ

فـكـأن الـبـيـت الـحـرام يـنـادي أنـتـمـا أنـتـمـا لـيَ الـركـنـان

إذ بـحـبـل الإلـه مـسـتـمـسـكـان وبـسـيـف الإلـه تـنـتـصـران

فـارميا عـن قـوس المقادير سهماً نَـثَـلَـتْـهُ كِـنـانَـةُ الـرحـمـان

سَهْمُ نصرٍ على العِدى ليس يعدو نـبـلـه قـلـب مـصـر والـسـودان

فـوقّـاه لآفـريـقـا تُـصـيـبـا كـبـد الانـكـلـيـز والـطـلـيـان

واشـفـعـا مـصـر بـعـد فـتـح قـريـبٍ بـطـرابـلـس إذ هـمـا اخـتـان

* * *

سـعـد الـمـلـك مـنـكـمـا بـوزيـريـ ن عـظـيـمـيـن أيـهـا الـبـطـلان

بـكـمـا لاقـت الـخـلافـة فـجـراً مـسـتـطـيـر الأنـوار والـنـيـران

مـنـكـمـا هـزت الـشـريـعـة سـيـفـاً صـقـلـتـه مـن الـسـمـاء يـدان

سـيـف حـق يـسـيـل نـاراً ونـوراً مـا عَـهِـدْنـا الـضـدَّيـن يـجـتـمـعـان

دُرَّةُ الـتـاج أنـتـمـا حـيـن تـدعـى سـاسـةُ الـمُـلْـكِ عُـمْـدَةُ الـتـيـجـانِ

* * *

يـا مـغـانـيَ بـيـروت تـيـهـي فَـخـاراً واجـرِ يـا دهـرُ أنـت مـلءَ الـعِـنَـانِ

وافـرشـي الـخـدَّ أنـتِ يـا مـصـرُ أرضـاً لـجـنـودٍ يـقـفـون إثْـرَ «سِـنَـان»

أيـهـا الـنـيـل لـيـس يـعْـذُبُ وردٌ لـك يـومـاً حـتـى تُـرى عـثـمـانـي

كيف تجري من تحت فرعون عذباً وأشـد الـعـذاب سـقـي الـهـوان

كـنـت قـبـلاً ولـم يـكـن غـيـر مـوسـى فـابْـشِـرِ الـيـومَ إذ هـمـا مـوسـوان

ضَـرَبَ الأرضَ بـالـعـصـى مـن قـديـمٍ وهـمـا الـيـوم بـالـظـبـي يـضـربـان

إن بَـنُـو إسـرائـيـل رامـوا فِـراراً فـهـجـومـاً يـبـغـي بـنـو عـثـمـان

وَلَئِنْ كان قبلُ فرعونَ أُنجي		ليس ينجوَ فرعونُ مصر الثاني
سَنَدوسُ الرمالَ ناراً تلظّى		ونجوزَ القنال أحمر قاني
فابشروا بالبوار وادعوا ثبوراً		وابشروا بالخَسَارِ والخُذلان

* * *

هذه خطوة من قبلُ أخرى		وهما يا أخا الوغى خطوتانِ
فإذا بالهلال في «عابدينَ»		وقلوبٌ تحكيه بالخَفَقَانِ
ورشادٌ خليفةُ الحقِّ فينا		هادِم للضلالِ والطغيانِ
يهتف المسلمون باسم عُلاه		عِشْ إمَامَ الهدى مدى الدورانِ



قصيدة الشيخ عبدالكريم عويضة

من علماء طرابلس الشام وأدبائهم

تهلّل وجه العالمين عن البِشْرِ ... بتشريف حامي الدين أنور للثغر
تألَّقتِ الدنيا سروراً بيومه ... وماسَتْ بها الأفراحُ بالحلل الخُضْرِ
وعمّتْ بها البُشرى أكارم أهلها ... فطاروا إلى اللقيا بأجنحة البشر
كأن قلوب الناس بشراً بيُمْنِهِ ... رياض حبور زارها هاطل القطر
شربن كؤوس الأنس مترعة الصفا ... بمورده الأهنى فمالت من السُكر
فما ثمَّ إلّا اليُمْن أسفر عن منى ... وما ثم إلّا الأنس مبتسم الثغر
فيا ثغر بيروت بأنور طالع ... بَلَغتَ الأماني فاغتبط مدة العمر
سعدت بلثم من مواطئه التي ... يعزُّ تمنِّيها على الأنجُم الزهر
سموتِ به فخراً يجر رداءه ... على كل فخر ساميَ الجاه والقدر
فأرضكِ أسمى في العلاء من السما ... وبدرُكِ أسنى في الكمال من البدر
وتُربَتُكِ الفيحاء أزكى من الشذا ... وحصباؤك البيضاء أغلى من الدر
تهنّأ فقد نلت السعادة كلها ... وأدركتَ ما ترجوه من شرف الذكر
فأنت بوجه الشام ثغرٌ مبارك ... وأنت بوجنات العلى شامة الفخر
وكيف وقد وافاكِ من شَرُفَتْ به ... ربوعكِ وازدانت بطالعه النضر
هو الأنور الفكر الذي دانت العلى ... لهمَّتِه العظمى وآرائه الغُر

هو البطل الحامي حماكِ من العدى بسيفين من عزم شديد ومن فكر
به انبثق الدستور نور عدالة بوجه من التوفيق أنور من بدر
به اعتزَّ دين الهاشميِّ محمدٍ وأحرز آيَ النصر في البر والبحر
به نالتِ الأوطانُ شأواً من العلا تَقَصَّرَ عن إدراكه هِمَّة الدهر
حَمَى حوزةَ الإسلام من كلِّ معتدٍ ببيض المواضي والمثقفة السمر
وأورث أعداء الخلافة ذِلَّةً تصاحبهم طول الحياة إلى القبر
له الله من سيف نَضَدَتْه يد العلا على كل جبار ليُغْمَدَ في النحر
فيا بطل الإسلام دمت مؤيداً ولا زلت بالإقبال منشرح الصدر
ويا رجل الدستور دمت موفقاً وأنت بأفلاك العلى الكوكب الدُّري
أتينا عن الأوطان وفداً مهنئاً نقدم عنها واجب الحمد والشكر
ولسنا بمن يثني عليك تزلُّفاً ولكننا غَرْقَى بنائلك الغمر
فلو أنَّنا صُغْنَا النجوم قلائدا بشكرك ما وَفَّتْ لفضلك بالعشر
فيا منقذ الأوطان من نكباتها أبى الله إلّا أن تقيها من الضر
رددت إليها الروح من غير مِنَّةٍ عليها وأوليت الجميل من البر
ولم تكتف منها بِرَدِّ حياتها وما فَقَدَتْهُ من مفاخرها الغُر
إلى أن سمت أوج العلى بِرُقِيِّها وجَلَّ بها شأو التقدّم عن حصر
فأعْلَيتَها ذكراً وشَرَّفْتَ قدرها فدانت لها الجوزآء في شرف القدر
وفي كل يوم منك تحظى بنعمة تُقَصِّر عن شكرانها أَلْسُنُ الشعر
وها هي فيك اليوم أضحت سعيدة كما سعدت من قبل بالخالد الذكر
لَئِنْ كان ذاك السيف جُرِّد للعِدى فإنك سيف الله للفتح والنصر
فكل امريءٍ في الترك والعُرْبِ قد غدا لسيفك مديوناً إلى منتهى الحشر
فلا زال في الأعداء سيفك ماضياً ولا زال في الإسلام ذكرك كالعِطر
فيا أمة الإسلام للغرب فانظروا فإن هلال الفتح أشرق في مصر

وهذا (جمال) العصر سار بجيشه وقد ملأ الدنيا إلى ذلك القطر

سيدخلها إن شاء ربي آمناً وإني أراه لا يزيد عن الشهر

رويدك يا فرعون مصر فقد أتى لك اليوم موسى فَالِقُ البحر والصخر

لَأَنْ جئت بالسحر العظيم مُخَوِّفاً فإن عصا موسى لَمُبْطِلَةَ السحر

فلا زال وجه النصر يزهو (بأنور) ويسمو بهاء (بالجمال) مدى الدهر

ويزداد في (عزمي) اعتلاءً ورفعةً ويزدان بالإقبال من طلعة البدر

وفي ظل مولانا الخليفة لم تزل جيوش بني عثمان حائزة النصر

ولا زال فوق الروس مع حلفائه بمعترك الخذلان تعلو يد الكسر

مدى الدهر ما فزنا بطلعة (أنور) وضاء (جمال) الكون من مطلع البِشْرِ

* * *



قصيدة عمر افندي نجا

من فضلاء بيروت

بمناسبة تشريف الوزير الخطير صاحب الدولة أنور باشا ناظر الحربية الجليلة ووكيل القائد الأعظم

بَسَمَ الثغرُ بالسرور ونوَّرْ ... حين وافى في طالع السعد أنورْ
هلَّلَ الجمعُ بالدعاء ونادى ... فليعش قائد الجيوش مظفَّرْ
يا وزيراً على المنابر تُتْلى ... آية المدح في عُلاهُ ويُشْكَرْ
لك ذِكرٌ في الخافِقَين جميل ... من زهور الربيع أبهى وأعطرْ
لك اسم أصوغ منه بمدحي ... عِقْدَ دُرٍّ من الثناء مُجَوْهَر
لك في موقف المعالي مقام ... لا يبارى بالتِبْرِ أضحى مسطر
لك في الحرب صولة الأُسْدِ لكنْ ... لك في السلم همّةٌ ليس تُنْكَرْ
بطل الحرب (يا جمال) المعالي ... يا وزيراً قاد الخميس المعسكر
إن جيشاً تقوده لجهاد ... تحت ظل الهلال لا شك يُنْصَرْ
أبشِروا أبشِروا بنصرٍ مبينٍ ... علم العزِّ فوق مصر سَيُنْشَرْ
في مقام الحسين «إنّا فتحنا» ... سوف تُتْلى وفي المُصلّى وأزهر
بعد ما تُهزَمُ الأعادي بِذُلٍّ ... وتنادي الجنود الله أكبر
دمت والقادة الكرام بِعِزٍّ ... وبنصر من الإله مُبَشَّرْ

ما بـدا الـبـدر في الـسـمـاء مـضـيـئـاً   وتـجـلـى نـور الـهـلال الـمـظـفـر

* * *

هذا وقد تبارت شعراؤُنا الأفاضل في وضع التاريخ الشعري لقدوم وزيرنا الجليل وإليك ما جاء من هذا القبيل:

لـبـلاد الـشـام فـي تـشـريـفـكـم   خير عيـد وهـو فـي الأعـيـاد أكـبـر

ثـغـرهـا الـبـسّـام أرخ عـيـدهـا   ان قـطـر الـشـام فـي الإقـبـال أنـور

عبدالكريم عويضة (١٣٣٤)

* * *

بـيـروتـنـا حـظـهـا أوفـر   وسـعـدهـا مـقـبـل مـزهـر

وطـالـع الـيـمـن ارخ بـه   شـرفـت بـالـمـجـد يـا أنـور

عبدالرحمن عز الدين (١٣٣٤)

* * *

قصيدة الفاضل الخوري مارون غصن

يا شِعرُ ما لكَ والنسيبُ فنحن في زمن الوغى فإلى القتال تزحف
وهناك صُبَّ سيولَ سخطك فوق من يرضى المَذلَّة للبلاد وعَنِّفِ
لا خير في كلِّ امرئ متلذّذٍ طعمَ الكرى وإلى الرِضَا متشوّف
وأخوه قد خاض الوغى مستهدفاً فبدار يا رعديدنا واستهدف
لا عاش إلّا من يردِّدُ قولَ عنـ ترة الحروب وباللَّغا لا يكتفي
«لا تسقني ماء الحياة بِذِلَّة» أُفٌّ لعيشٍ بالكرامة مجحف
«ماءُ الحياة بِذِلَّةٍ كجهنمٍ» فإليك عن آبارها لا تَرْشُفِ
فالموت من عطش إلى نيل العلى خيرٌ من الرَيِّ المذلِّ المُقْرِفِ

* * *

فإلى متى يا نَكْسُ تَجْبُنُ فاحتزم لا تخشينَّ من الخيال المرجف
أَوَ ما رأيتَ الأُسْدَ في أجَمَاتِها من بأسِ عثمان الغضنفر تختفي
أو ما نظرتَ إلى حصون الدردنيـ ل تصبّ من كُوّاتِها ناراً تفي
وتُبيد أسطول العدو وجيشه في سدٍّ بحرٍ زعزعيٍّ متلف
وأراك تجهل ما أتاه العُرْبُ في أرض العراق هناك هول الموقف
حيث العِدى وَلَّتْ وعاد الجيش من عثمان بالنصر المُشرِّف يشتفي

* * *

وببئر سبع قد تجمع كل جيـ ش غير تمزيق العِدى لم يَألَفِ
وهمُ إلى الهرم المُعلّى وجَّهُوا الأنظار فاستبشِرْ ولا تتخوّف
وبكلٍّ تركيّا التآلف صيَّرَ الإنجيل والتوراة قرب المصحف
ولو اختبرتَ بسالة الفرسان في ظلِّ الهلال لكنت غير مخوف
فلقد رأيتهمُ صفوفاً فوقهم علم أَشِعَّةُ مجده لم تُخْسَفِ
يتمرّنون على القتال يديرهم عُرَفاؤهم والكل في طرب وفَي
«وجمال باشا» ذلك الأسد الهصور يقودهم ويعدهم للمزحف
ودوي موسيقاهم ملأ الفضا ء فكرَّ كلٌّ للمنية يصطفي
ويصيح يا وطني سلمت من العدى «روحي فداكَ عرفت أم لم تعرف»

* * *

لا زال بند النصر يخفق فوقهم في ظل سلطان العباد الأشرف
يا رب فانصره وأبِّدْ عرشه فيدوم في ظفر وفي عزٍّ وفَي
فلأنت موئلنا ومنك غياثنا وإليك مرجِعُنا فلا تتأفّف
إنا نردّد قول ألطف شاعر يا خيبة المسعى إذا لم تسعف

* * *

قصيدة الشيخ عبالله المؤذن

من أدباء طرابلس

نحن قوم شعارنا الوطنية ... ما لنا غير صدقنا من مَزِيَّه
فاخْتَبِرنا إن راجَ سوقُ المنيَّة ... فترانا بِعِزَّة وحميه
نبذل الروح في سبيلك أنورْ

ربنا قال في الكتاب أطيعوا ... فأطعنا والكل منا سميع
يتفانى وَضِيعُنا والرفيعُ ... ويخوض الأخطار وهي نجيع
ويلبي النداءَ والموت أحمرْ

شهد الله أنَّ في سوريّا ... أمة تسلك الصراط السويّا
تسأل الله أن ترى تركيّا ... ذات بطشٍ وعِزُّها أبديّا
ولِواها على البسيطة يُنْشَرْ

جَرِّدِ اليومَ إنْ أردتَ السيوفا ... ثم رتّب للموت منا الصفوفا
وانتدبنا فإن غلبنا الألوفا ... فتحقق ثباتنا الموصوفا
أو فدعنا نموت حزناً ونُقْهَرْ

خُضْ بنا البحرَ واقطعِ النار جهرا ... أو فقاتل بنا بني الغرب طُرّا
واجتهدْ أنْ تخطَّ في الأرضِ ذِكرا ... لك حتى يموت خصمُك قهرا
ويقول الجميع طوعاً لأنورْ

حـولـك الآن ثُـلَّـةٌ مـن أُسـودٍ   أنتجتهم بيروت من كل صيد
حلفوا أن يفوا لكم بالعهود   ومزيد الإخلاص بعض الشهود
إنّ هذه حقيقةٌ ليس تُنْكَرْ

يا بني الشام والعراق ومصرا   جاء وقت به التناصر يُقرا
أذْهَبَ اللهُ عنكمو اليوم عُسْرا   وحَبَاكُم على أُولي البَغي نصرا
بأسودٍ يقودها الطَودُ أنورْ

سار جيشٌ لِمِصْرَ يسعى أمامك   صلِّ واشكرْ فالسعدُ أضحى أمامك
قم لحصد الرؤوس جَرّد حسامك   ثم هيء لفتحها أعلامك
فهي في ذمة الهلال المظفَّرْ

عن قريب نرى لواء الأماني   خافقاً فوق عرشنا العثماني
ويعود الزمان تلو الزمان   بالمسرات مفعماً والتهاني
ويعيش السرور والحزن يُقْبَرْ

نسأل الله أن يديم انتصاره   لجنودٍ قد أصبحتْ أنصاره
وإلى قطرنا يعيد النضارة   و(جمال) الزمان للسَعْدِ شاره
بحياة المليك والليث أنورْ

* * *

قصيدة الشيخ محمد بهاء الدين الصوفي

من فضلاء اللاذقية

سلامٌ على عرشٍ به الدِّينُ ناضِرٌ ... ومُلْكٍ به الإسلامُ أضحى يفاخرُ
سلامٌ على ذي البأسِ أنورِ من حمى ... بلاداً بحزم وهو ناهٍ وآمر
سلام على ذي القول والفعل أحمد ... جمالِ الورى مَنْ مِنْهُ طابتْ سرائر
سلام على الغازين ما لاحَ فوقَهُم ... لواء أمام الأنبيا وهو ظافر
سلام على جند ابن عثمان إنَّه ... لَجُنْدٌ مُهابٌ لم يرعْهُ التكاثر
سلام على الأبطال في ساحة الوغى ... إذا اشتبك الجيشان شهم وصاغر
تحفُّهم عند الجهاد ملائِكٌ ... وأحمدٌ من أرض المدينة ناظر
جهاد بتكبير الإلـه مقدّسٌ ... نفوسٌ به ارتاحَتْ وقَرَّتْ نواظر
جهاد به روض المعارك أغبر ... ولكنه بالنصر فيْنان زاهر

* * *

فيا أنورُ الدنيا ويا قائد الورى ... ويا من له في كل خير مآثر
أَمَرْتَ فلبَّتْكَ البسيطةُ كلُّها ... وجاءتْك تسعى والجميع عساكر
فَمُرْهُمْ بتمزيق العدو فإنهم ... اشداء عنهم قد توالى التواتر
أمولاي قد وافيتَ بيروتَ قاصد ... حماية أوطان لك الله شاكر
وَمُذْ قُمتَ تنجي مصرَ من قبضة العِدى ... بك افتخرَتْ مصرُ وحَقَّ التفاخر

كأنك والهيجاء يذكو لهيبُها ... عليَّ ابن عم الهاشمي المصاهر
فجاهد بأعداء الإلّه فأينما ... توجَّهْتَ فالله المهيمن ناصر
ويا أحمداً زان البلاد جماله ... تأهب إلى مصر فتم التناصر
فأنت عقود الجيش كالدُّر ناظمٌ ... وأنت طلى الأعداء بالسيف ناثر
كأنك في خوض المعامع خالد ... إذا سرت سار النصر وهو مجاور
وفضلك في الآفاق كالشمس في السما ... ولا يُنْكِرُ الأضواء إلّا المكابر

* * *

أجيش بني عثمان دمت مظفراً ... حسامُك بتّار وشانيك خاسر
لك الله من جيشٍ عظيمٍ عرمرم ... له بانتضاء المرهفات اشائر

* * *

حُيِيِّتَ أمير المؤمنين معزَّزاً ... لواؤك مرفوع ومُلْكُك عامر
ودمت لهذا الملك ركناً موطداً ... تحافظه من كل باغٍ يماكر
ألا أيها القُوَّاد أهلاً بجمعكم ... فإنكم قومٌ كرام أكابر
على الطائر الميمون سيروا وجاهدوا ... ففي مثل هذا الوقت تحلو المخاطر
وكونوا على القوم اللئام صواعقاً ... تدك حصوناً قد بناها أصاغر
وعودوا إلى الأوطان والعودُ أحْمَدٌ ... بنصرٍ مبين فيه تسمو المفاخر
وها أنا باسم اللاذقية ماثل ... أودعكم والشوق للعَوْدِ وافر

* * *

قصيدة الشيخ صالح أفندي اليافي

يمدح بها حضرة الوزيرين الخطيرين

لكلِّ زمانٍ في الحقيقة حيدرُ ... وحيدرُ هذا العصر لا شك أنورُ

وزير لجيش المسلمين أعدَّه ... لطارقة الخطب المليك المظفرُ

قد استنفر الإسلام بالحال أسرعوا ... بكل كَمِيٍّ عزمُهُ ليس يفتر

أسُودٌ إذا ثار العجاج تسابقوا ... ولم يكُ خلف الجيش منهم مُقصِّر

وإن أذنوا في الحرب قام خطيبهم ... لرفع منار الدين بالصوت يجهر

وباعوا إلى الله الكريم نفوسهم ... ونادوا بوقت الحرب الله أكبر

* * *

فيا فارس الإسلام في كل مَعْرَكٍ ... ومن عزمه قد ذلَّ كسرى وقيصر

أحَلَّكَ سلطانُ السلاطين منزلاً ... فغيرك عنه في الزمان يقصر

فلولاك هذا الملك كان مهدداً ... ولم يَكُ تجهيزٌ ولم يَكُ عسكر

فكم لك بعد الانقلاب عجائب ... وكم لك آيات بذا العصر تؤثر

ليهنك نصرالله والفتح قد أتى ... وما مثله فتح من الله ينظر

أعيذك بالرحمن من شر حاسد ... ومن شر من تخشى ومَنْ منه تحذر

قدمتم إلى بيروت فافترَّ ثغرها ... وها هي في ثوب العلا تتبختر

قدومك ميمون وسعدك طالع ... وحلمك مأمون وبطشك يندر

ونجمك مسعود وسيفك قاطع وجيشك منصور وأنت مظفر
ورأيك رأي لا نظير له بنا على أنه وحي من الله يصدر
كذاك أخوك الشهم أحمد عصرنا جمال لدى الهيجاء ليث غضنفر
فإن ذُكِرَتْ فينا شمائُل لطفه ومرّت بها ريح الصبا تتعطر
وكل السجايا الغُرّ فيك تجسمت وكل فصيح عن ثناك مقصر
فيا رَبُّ بالمختار ثبِّتْ جيوشنا وكن لهم عوناً فجاهك أكبر
تعطف علينا يا كريم بنصرة بها الملك يعلو إذ به الدين ينصر
أراد العِدى للدين كيداً وطالما لقد أوصلوا للدين سهماً وحرروا
وحاشاك أن ترضى بخذلان جيشنا فوعدك حق في الكتاب مسطر
وعدت بنصر المؤمنين وحزبهم ولا شك فالإنجاز منك مقرر
فغرق أساطيل العدو التي بها على دولة الإسلام يعلو ويكبر
ويَسِّرْ لنا فتحاً لمصر وقطرها فها نحو بالفتح المبين نبشر
وأيد لنا السلطان واحفظه دائماً مدى الدهر م قد قيل الله أكبر
ووفق لنا بالنصر كل رجاله ولا سيما هذا الغضنفر أنور
وكن لجمال العصر عوناً معضداً ولا سيما في فتح مصر مبشر
واني لكل الوفد اهدي تحيتي سلامي كما مسك الختام مُعَطَّرُ

* * *

قصيدة عبد القادر افندي سالم الحسني

من أدباء بيروت

أهلاً بقائدنا الغضنفر (أنور) بطل الوغى فخر الرجال بلا مُرا
رجل الشجاعة ربُّ أرباب العلى مَنْ بالتواضع نال ما لن يحصُرا
هو ناظر (الحربية) الأسد الذي خضعت له في الحرب آساد الشرى
كم ذُلِّلَتْ هممٌ له هام العدا ولكم بها رجع الخصوم القهقرى
مَنْ أَمَّهُ في حاجة يظفر بها فكأنما أبوابه أم القرى
الله أكبر ما أجلَّ مقامه وأعزَّ ملجأه إذا خطب عرا
سل عن بسالته وشدة بأسه إذ كنت تجهل سر أنور في الورى
سَلْ أُمَّةَ الطليان عن أفعاله في حربهم وسَلِ الحسامَ الأبترا
يطرى السنوسيون أخلاقاً له وعليه يثنون الثناء الأعطرا
كم من يد بيضاء لا تُحْصَى له قد أخجلت منها السحاب الممطرا
لله ما أحلى مناهل فضله فلقد غدت بين البرية كوثرا
أضحى به صرح (الجمال) مسوَّرا لله ما أسمى وأسنى مظهرا
أخلاقه كَرُمَتْ فيا لله مِنْ شِيَمٍ شممنا من شذاها العنبرا
مولى له فضل عظيم في الورى يدع اليراع بوصفه متحيرا
اين (ابن مقلة) أين (حسان) إذا خَطَّتْ يداه من البلاغة أسطرا

إنْ سَلَّ (ابيضَهُ) وهَزَّ الأسمرا　　في الحرب مات الخصم موتاً أحمرا

تالله لو صُغْتَ الدراري كلها　　دُرراً بمدح عُلاه كنتُ مقصِّرا

لا زِلتَ يا صهر الخليفة قائداً　　أبداً وجيشك في الحروب مظفرا

* * *

في دمشق(*)

بعد مطر غزير أحيى الزرع والضرع أصبحت مدينة دمشق (١٧ ربيع الثاني ١٣٣٤) مزدانة بأبهى حلة من الأعلام العثمانية الجميلة: دُورُها وحوانيتها ودوائرها الرسمية وفنادقها ونواديها ومدارسُها وجميع ابنيتها يأتي النسيم إلى هذه الأعلام المحبوبة فتتموج تموجاً لطيفاً يشبه اهتزاز وجه الحسناء حينما يدخل السرور إلى قلبها، يحق لك أيتها الأعلام الجميلة أن تهتزي طرباً وسروراً وأن تميسي فخاراً إذْ إنَّك تستقبلين بطلاً عظيماً طالما نسي حياته في سبيل حياتك، وكثيراً ما تجشم الأخطار والمصاعب في سبيل رفعتك ومجدك، تستقبلين أيتها الأعلام الظافرة سيفاً من سيوف الإسلام القاطعة طالما جُرِّد في سبيل نصرة دين دولة الخلافة التي أنتِ شارتها المفدّاة بما عزَّ وهان هذا البطل المحبوب هو دولة أنور باشا ناظر حربية دولة الخلافة ووكيل مولانا الخليفة الأعظم في قيادة جيوشه العظمى.

تفاخر دمشق اليوم وهي المدينة التاريخية العظيمة التي هي مرقد صلاح الدين الأيوبي من كبار ابطال الإسلام إذ قد حل ضيفاً فيها على الرحب والسعة بطل كبير من أبطال الإسلام أيضاً عمل ويعمل في سبيل دفع الأذى عنه ونشر راياته في البلاد القريبة والنائية، تعتز دمشق اليوم باستقبال بطل من أبطال

(*) مقتبس من المقتبس بقلم شقيقنا أحمد كرد علي مع قليل من الحذف والإثبات.

الدستور هذا الذي رأى مع إخوانه أن الحكومة الاستبدادية لا تنطبق مع روح الشريعة السمحاء فنهضوا نهضة الأسد من عرينه وخلصوا الأمة من براثن الظلم والاستبداد وأذاقوها طعم العدل اللذيذ، تستأنس دمشق برؤية بطل بَيَّضَ وجه العثمانيين عامة والعرب خاصة في طرابلس الغرب فأفهم الطليان أننا أمة لا تكون فريسة لكل مفترس بل أنَّ لوني رايتنا الأبيض الناصع والأحمر القاني يدلان على ما انطوت عليه نفوسنا الشريفة من السلم وصفاء الود نحو من يصافينا ويؤاخينا وأنّنا نار تسفك دم من ناصبنا العداء وتحرقه، تتهلل الفيحاء اليوم فرحاً باستقبال فلذة من أفلاذ أكباد المسلمين ناب عن خليفتهم في قيادة جيوشه فانكسر أعداء الإسلام الإنكليز والفرنسيس ومن لف لفهم كسرة على أبواب دار الخلافة لم ير مثلها تاريخهم دبت على أثرها روح النهضة في العالم الإسلامي وأيقنوا أن سيف الإسلام الذي كان ساكناً في غمده هو اليوم في قبضة رجال يحسنون الانتفاع منه فيستعملونه أحسن استعمال في نحور من يريدون شرًّا بالمسلمين عامة وبدولة الخلافة خاصة.

هنا يعرض لنا سؤال يضطرنا المقام إلى طرحه على الأهلين: هل رأَيتم وربكم قبل اليوم ناظراً من نظار الدولة العلية ووكيلاً من وكلاء الخليفة الأعظم يزور دياركم بقصد إسعادكم والنظر في شؤُونكم. بالأمس أوفدت الدولة العلية لنا دام مُلْكُها مدى الدوران دولة أحمد جمال باشا ناظر البحرية الجليلة وقائد الجيش السلطاني الرابع واليوم جاءنا صنوه دولة أنور باشا ناظر الحربية ووكيل رأس القواد الأعظم فحري بنا في هذا المقام أن تَثْلُجَ صدورُنا وأن ترتفع أصواتنا بالدعاء للخليفة الاعظم الذي اختار لإدارة شؤُوننا هذين البطلين الكريمين وغيرهما ممن يحق للبلاد العثمانية أن تباهي بهم وتعتز ببقائهم.

كان يوم أمس يوماً مشهوداً في دمشق قلما رأَت دمشق نظيره فلما ابتسم ثغر صباحه غادر الناس دورهم مستقصين النبأ الصحيح عن ساعة وصول دولة أنور باشا ودولة جمال باشا ومن يرافقهما من أعاظم الأبطال وفي الوقت المعين اصطفت أمام جسر دار الذخيرة في طريق الربوة قطع النظامية والدرك وطلاب المدارس الرسمية والخصوصية بأعلامهم وموسيقاتهم وعلى جناحهم

الأيمن الموظفون الملكيون وأركانهم فرؤساء جمعيات الاتحاد والترقي والمدافعة الملية والهلال الأحمر والأسطول وأعضاؤُها فالعلماء الكرام فأعضاء مجالس الإدارة والبلدية والعمومي فسراة الحاضرة فرجال الصحافة.

وقد أقيم أمام جسر حديقة الأمة قوس ظفر جميل للغاية ومثله أمام فندق الجيش الرابع وازدانت الطريق الواقعة بين القوسين بالأعلام العثمانية والألمانية والنمسوية أجمل زينة وهي باختلاف أشكالها وقطعها مثلت أجمل منظر للرائين إذ إنها دلتهم على جميل تحالف العثمانيين مع الألمانيين والنمسويين ورددت على خواطرهم ما ناله ويناله هذا التحالف من ضروب الظَفَر في ساحات الحرب.

وبعد غروب الليلة الفائتة ببضع دقائق سُمِعَ صوتُ السيارات فنادى النفير معلناً وصول البطلين الكريمين فأخذ كل واحد مكانه واصطف الناس على نحو ما ذكرنا آنفاً على أبدع نظام وأحسن ترتيب ولما وصل صاحبا الدولة أنور باشا وجمال باشا إلى جسر الذخيرة نزلا من السيارة وإذ ذاك رنت الأيدي بالتصفيق ورُفِعَتْ الأصوات بالدعاء فحيتهما الموسيقات العسكرية وجوقات موسيقات المدارس الرسمية والخصوصية وظلا سائرين بين صفوف المستقبلين وصفوف جند اليوم وجند المستقبل حتى وصلا إلى معسكر الجيش السلطاني الرابع وظلَّا طول الطريق على هذا المنوال الرجال يحيونهما بالهتاف والنساء بالزغردة وبعد أن استراحا في النزل ذهبا إلى دار الولاية حيث أقيمت مأدبة شائقة باسم ولاية سورية الجليلة جمعت أركان العسكرية والملكية وبعض العلماء والسراة وقد أكل البطلان ومن يحيط بهما هنيئاً وشراباً مريئاً على نغمات الموسيقى إلى أن ارفضت الوليمة.

وخلاصة القول أن يوم أمس وليلة اليوم كانا من أجمل الأيام التي رأتها هذه الحاضرة وقد أنيرت بالمصابيح الكهربائية دار الولاية ودار الجيش الرابع ودار البلدية ودائرة الشرطة حتى أضحى ليل باحة دار الولاية نهاراً أعاد الله تعالى مثل هذه المشاهد على مدينة دمشق بظل دولة الخلافة العظمى وفضل أركانها العظام أمثال أنور باشا وجمال باشا بمنه وكرمه.

* * *

كانت المأدبة التي أقامها عطوفة عزمي بك والي سورية الجليلة لدولة أنور باشا ناظر الحربية الجليلة ووكيل رأس القواد الأعظم باهرة للغاية قام فيها فضيلة السيد أبي الخير أفندي عابدين مفتي دمشق خطيباً فأثنى الثناء المستطاب على همّة القائدين العظيمين صاحبي الدولة أنور باشا وجمال باشا وعدد مآثرهما ومفاخرهما ثم بحث في الحديث النبوي المستفاد منه «إنَّ الله تعالى يبعث على رأس كل قرن من يجدّد للأمة أمر دينها» لتحيا حياة سعيدة ويعاد إليها باذخ مجدها وعزها وهذا الحديث الشريف منطبق كل الانطباق على قائد الجيوش الإسلامية كافة أنور باشا وعلى القائد العام للجيش السلطاني الرابع ناظر البحرية جمال باشا ثم طلب لهما من الباريء - عز وجل - سعادة الدارين والتوفيق في جميع الأمور ودعا للخليفة الأعظم وجيشه وأسطوله وسأله تعالى أن يحفظ البلاد العثمانية من جميع الآفات وكان لكلامه ودعائه أعظم تأثير في النفوس ثم تبعه مصباح أفندي محرم رئيس محكمة استئناف الحقوق وأنشد بيتين من الشعر في مدح القائدين العظيمين ثم قام الأستاذ أسعد أفندي الشقيري فترجم للتركية كلام مفتي دمشق والبيتين المذكورين وشرح مقاصد المفتي الموما إليه مما كان له أحسن وقع في النفوس على العادة في كل ما يقوله الأستاذ حفظه الله وأبقاه.

* * *

من أجمل المشاهد التي أقيمت ليلة أمس احتفاءً بأنور باشا مواكب المصابيح التي اشترك فيها طلاب المدرسة العسكرية وطلاب مدرسة الدرك والجنود النظامية وقد كانوا حاملين بأيديهم المصابيح يطوفون في باحة الولاية وباحة البلدية على أشكال مختلفة تلذ الأعين رؤيتها وتدل على حسن ذوق مرتبيها حتى أنك كنت ترى هاتين الباحتين كبحر زاخرٍ بأمواج من النور.

في الساعة العاشرة زوالية قبل ظهر الثلثاء في (١٩ ربيع الثاني سنة ١٣٣٤) قَبَلَ دولة أنور باشا أركان العسكرية وأمراءها وهم بالكسوة الرسمية الكبرى وعلى أثرهم قَبَلَ عطوفة عزمي بك والي سورية يرافقه أركان الولاية وبعد من ذكرنا قابله عطوفة رئيس بلدية دمشق ورجال الجمعيات والعلماء

والأشراف والسراة ورجال الصحافة ومشايخ دروز حوران فحياه الجميع، مرحبين بدولته وقد كان دولته حفظه الله يقابل الجميع بلطفه وبشاشته المعتادين.

وقبل ظهر ذاك اليوم زار صاحبا الدولة أنور باشا وجمال باشا المستشفيات في دمشق وعادا المرضى مطيبين خواطرهم ومبينين لهم شرف الجهاد.

وظهر ذاك النهار أدب كاظم بك مفتش المنزل مأدبة فاخرة لدولة أنور باشا وجمال باشا المستشفيات في دمشق وعادا المرضى مطيبين خواطرهم ومبينين لهم شرف الجهاد.

وظهر ذاك النهار أَدَبَ كاظم بك مفتش المنزل مأدبة فاخرة لدولة أنور باشا حضرها دولة أحمد جمال باشا وأركان حربهما ورجال الفيلق الثامن وأركان الملكية.

وبعد العصر ذهب صاحبا الدولة أنور باشا وجمال باشا مع أركان معيتهما إلى الجامع الأموي الكبير وكانت الجنود مصطفة أمام باب الجامع فحيتهما التحية العسكرية ولما دخلا إلى صحن الجامع قابلهما مشايخ الطرق ورجالها بالأعلام والرايات وما يتبع ذلك من أدوات الذكر ولما قربا من حضرة سيدنا يحيى الحصور اصطف العلماء عن يمينهما وشمالهما وقرىءَ ما تيسر من القرآن وتلا فضيلة مفتي دمشق دعاءً سأل فيه الله تعالى أن يحفظ هذين القائدين العظيمين بظل حضرة مولانا الخليفة الأعظم وبعد ذلك دخل القواد إلى الضريح وتبركوا بزيارة المصحف العثماني وبعد خروجهم قدم فضيلة مفتي دمشق لدولة أنور باشا كتاب مثال النعل النبوي الشريف تذكاراً لزيارته دمشق وقدم أنور باشا مصحفين كريمين أحدهما لضريح سيدنا يحيى والثاني لضريح السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فألقى إذ ذاك الأستاذ الشيخ أسعد الشقيري كلمات أوضح بها ما تنطوي عليه تلك الهدية من معنى حث رجال العلم والإدارة على التمسك بأهداب القرآن الكريم والعمل بمعانيه الشريفة.

وبعد ذلك زار القائدان البطلان رأس سيدنا الحسين وضريح ساكن

الجنان السلطان صلاح الدين بن أيوب وشهداء الطيران فتحي بك وصادق بك ونوري بك وقد استمطرا لهم أكف الرحمة وتليت فاتحة الكتاب على أرواحهم الشريفة التي فارقت أصحابها في سبيل الواجب الوطني ومن هنا سارا توّاً لزيارة قبر الشيخ الأكبر فاستقبلهما العلماء وتليت الأدعية المستطابة بحفظهما وحفظ جلالة الخليفة الأعظم.

ومن هناك عادا بالعز والإقبال إلى سينما «چناق قلعة» حيث أقامت جمعية الاتحاد والترقي مأدبة شاي عرضت أثناءها الصور المتحركة ولوحات تعرض بعبارات لطيفة رقيقة طرفاً من أعمال دولة أنور باشا وصنوه دولة أحمد جمال باشا وقد حضر هذه المأدبة عدد قليل من أركان العسكرية والملكية والسراة والأعيان وتليت القصائد ورتل الشيخ عبدالرحمن القصار بصوته العذب الرخيم قصيدة من نظمه مثل فيها مصر المحبوبة تطلب النجدة والمعونة من الدولة العلية وبطليها أنور باشا وجمال باشا وتلا عبدي توفيق بك السلانيكي خطاباً بالتركية على لسان الاتحاديين وخرج القائدان العظيمان كما دخلا بالإعزاز والتكريم على نغمات موسيقى مدرسة الصنائع.

بعد حفلة سينما «چناق قلعة» عاد القائدان المحبوبان إلى معسكر الجيش الرابع فجاء السيد علي رضا باشا الركابي رئيس بلدية دمشق مع كل من شفيق بك القوتلي وأحمد أفندي أيبش واسماعيل أفندي النابلسي فقدموا لدولة أنور باشا باسم دمشق سيفاً مرصعاً من السيوف العربية البديعة الصنع فقال الرئيس: لما كان أهل دمشق يرون في دولتكم أنّكم سيف الأمة العثمانية القاطع في رقاب الأعداء أخذوا هذا السيف التاريخي وقرروا تقديمه إليكم ليكون بيدكم قاصماً رقاب الأعداء وانتدبونا نحن بأن نقدمه باسمهم وهم يرجون قبوله وإنَّ لنا الفخر بإيفاء هذه المهمة التي انتدبنا إليها. فقال دولة الناظر الكريم: «إنني أشكر أهل دمشق على هذه الهدية الثمينة مع أنّي لست أهلاً لتقلد هذا السيف ولكني سأسعى لاستحق تقلده في خدمة الأمة».

وبعد الغروب أَدَبَتْ بلدية دمشق لدولة أنور باشا مأدبة باسم الدمشقيين في دار الولاية كانت فاخرة للغاية جمعت من الأطعمة ما لذ وطاب وتليت فيها

الخطب والقصائد وقد خطب في هذه الحفلة كل من السيد علي رضا باشا الركابي رئيس البلدية خطاباً ارتجله بالتركية ثم جاء بعده مؤلف هذا الكتاب محمد كرد علي فحطب بالتركية ثم تلا الشيخ مصطفى الغلاييني من أساتذة سورية قصيدة من نظمه ثم جاء بعده الأمير شكيب أرسلان مبعوث حوران ورئيس تحرير جريدة الشرق فارتجل خطبة بالتركية باسم دروز حوران ولبنان قال فيها ما مآله: إن الدروز ليسوا أهل خطب وقصائد بل انهم مستعدون لتقديم دمائهم فداء عن الدولة. وكذلك الشيخ حسين الحبال صاحب ابابيل قرأ قصيدة فمنير أفندي مدور مدير الرأي العام ومحرره خطاباً بالتركية وختم الحفلة الأستاذ أسعد أفندي الشقيري بخطاب أنيق باللغة العربية.

وكانت الشوارع التي كان يمر منها القائدان العظيمان في ذاك اليوم غاصة بالعدد العديد من الأهلين المحبين لدولتهيما يحيونهما بالهتاف والدعاء وتصدية الأيدي وكانا يقابلانهم بكل لطف وإيناس بينا كانا يجوبان المدينة من أقصاها إلى أقصاها مفتشين الثكنات والمستشفيات والمستودعات والمصانع والمعاهد وغير ذلك من الأماكن العسكرية منقبين فيها أدق تنقيب.

* * *



تعريب خطاب عبدي توفيق بك من المحررين العثمانيين الذي ألقاه في سينما چناق قلعة باسم جمعية الاتحاد والترقي في المأدبة التي أدبتها الجمعية المشار إليها إكراماً لصاحبي الدولة انور باشا وجمال باشا القائدين العظيمين:

نحيي ونكرم بكمال الاحترام ركنين عظيمين مهابين من جيشنا في هذه البناية الصغيرة الكبيرة معنى لأنها تحمل اسم چناق قلعة الذي أضحى أنشودة الظفر بألسنة العالم أجمع وقد سميت به تذكاراً لأماجد الأبطال الأسود من العثمانيين الذين دافعوا عن چناق قلعة جاعلين صدورهم الطافحة بالحمية متراساً حيًّا لأبواب دار الخلافة العثمانية تجاه دوارع مدهشة لعدوين عقورين ومدافعهما التي تنثر الموت والنار ورشاشاتهما وشظايا الشربنيل وقنابلهما ورصاصاتهما وإننا نحن وحلفاؤنا المحترمون العظام سنستمر بكمال المتانة على القيام بهمتنا ألا وهي إنزال ضربات أشد على رؤوس أعدائنا المشتركين بينا نحن نسمع بآذاننا مفاخرين أنين أعدائنا واضطرابهم مما نلناه من الانتصارات في الساحات الحربية المختلفة وما أنزلناه على رؤوسهم من الضربات القهارة.

إن الضربات الأليمة بل المنبهة علمتنا جيداً ففهمنا أن عامة الأعمال كبيرة كانت أم صغيرة لا تقوم إلّا بالرعاية حرفيًّا لجميع قواعد الدستور المسمى

(الواجب) فالنجاح لا يضمن قط إلّا بفضل ذلك. إن الجيوش التي حاربت في ساحات الحرب أمس هي الجيوش نفسها التي تحارب اليوم ودَمُ الأشخاص الذين يؤلفونها هو الدم العثماني عينه منذ ستمائة سنة إلّا أن الذي كان يسقط الجيش لا بل الأمة طوراً إلى الحضيض وطوراً يرفعها هو عبارة عن إيفاء وظيفتنا عارفين بها أو انحرافنا عن طريق الوظيفة والعدول عنها بعدم اجتهادنا ولا يتم النجاح في الوظيفة إلّا بفكرة المثابرة على الخطة التي هي أساس دستور الجد المتين.

إذا قايسنا بين اليوم وأمس نرى ونعلم أن الجيش الذي يحارب اليوم في جبهات الحرب المختلفة يرى متبعاً للواجب في جميع حركاته وهو في كل عمل يسير بفكرة المثابرة المطلوبة في كل محل وفي كل شعبة.

وإن الجيش الذي حارب أمس في جناق قلعة بالقلوب المملوءة بالإيمان بالظفر والمتحصنة بدروع العزم والمتانة، يحارب بأسنانه وأظافره اليوم في أرضروم وجبال القفقاس في وسط الجليد الملوّن بالدم متسلقاً الذرى الحادة الشاهقة وهو الذي اجتاز ترعة السويس ممتطياً جسور القوارب بعد أن قطع صحراء التيه تلك التي هي بِحَارٌ ما لها عدد قائم بنفسه وهو الذي أظهر في هضاب الإسماعيلية بحرابه القاطعة الشهامة لبسالة العثمانية فهذا الجيش هو الجيش العثماني نفسه الذي قام بحرب البلقان في سنة ١٣٢٨.

ان انتصارات ونجاح جيش سنة ١٣٢٨ في سنتي ١٣٣٠ و١٣٣١ لم تنشأ سوى عن قبوله مسلكاً جنديًّا صرفاً لا تشوبه شائبة غير ذلك من الأشياء ووضعه في محله كل مسمار من مسامير بناء حركاته بدافع فكرة المثابرة وتثبيته بواسطتها وبفضل ذلك أضحت الأمة اليوم ليس وحدها فقط بل امام الأمم في العالم صديقاتها وعدواتها تظهر نفسها كرجل ابن رجل منتصب الرأس طاهر القلب حر الفكر ناصع الجبين وكل هذا هو نتيجة عمل أرباب الفكر والمتانة الذين يفكرون على صور متعددة ويعملون عملاً واحداً ونحن نعلن سرورنا وتفاخرنا مع إظهار عواطف شكرنا بالمواجهة الشريفة لركنين مبجلين عظيمين من أرباب الحمية الذين أرونا هذه الأيام وأنالونا هذه الانتصارات وإننا نهدي

فاتحة الكتاب من هذا المقام الرفيع لأرواح شهدائنا الذين فدوا نفوسهم في ميادين العز والشرف ونتحف الشكر والتقدير لغزاتنا الموقرين ونضرع إلى الله تعالى أن يمنح الظفر النهائي لجيوش الحلفاء البواسل.

لتحيى العثمانية الأبدية المعظمة، ليحيى رأس قوادنا الأقدس الخليفة المعظم السلطان محمد رشاد خان ليحيى حلفاؤنا الأبطال الأعاظم.

* * *



استنجاد مصر

هي القصيدة التي رتلها من وراء الستار الشيخ عبدالرحمن القصار في سينما جناق قلعة

يا بني عثمان يا روح الحمى   أنجدوني من تباريح الخطر

أنا مصر الحرة الثكلى أما   آن أن أحيا بكم أو بالنظر

أيها الأنور يا بدر الكمال

فمتى أنظر أعلام الهلال

ليس إلّاك مجيري والجمال

تنصبان في ربوعي العلما   ويلبيني بآمالي القدر

آه ما أجمل يوماً بِكُمَا   فيه أنسى ما تَقَضَّى من كدر

* * *

أين من يُسْعِفُ شعبي بالجنود

ويَحُلُّ اليوم من عنقي القيود

طال أسري في يَدَيْ نذل حقود

لم أرِدْهُ لعبيدي خدما   إنَّ ذا أضحى من الصبر أَمَرْ

كدتُ أمسي بامتهاني عَدَمَا   فمتى تصبح أوقاتي غُرَرْ

* * *

أنور الباهي المحيا يا عزيز

بجمال أنت لي حصن حريز
هل أرى يوماً رؤوس الإنكليز
تترامى تحت أقدامِكُمَا   ويُقادون إلى قعر سقر
وأرى سعدي زها مبتسما   وهلالي فيكما يمسي قمر

* * *

أنا مصر العِلْمِ بل أمُّ البلاد
أنا عثمانية بِنْتُ رشاد
يا حماة الدين هُبُّوا فالفؤاد
كاد يقضي في أساه ألما   من بُغاةٍ أوقعوني في ضجر
أين من يحفظ عِرْضِي كرما   ويلبي مصر في جيش الظفر

* * *

أنت يا أنور يا مولى جليل
وجمال العصر ليثا كل جيل .
أنجداني في سيوف الدردنيل
وانصفاني من عدو ظلما   ورمى قومي بأنواع الضرر
لم أرد غيركما لي حَكَمَا   أسعفاني اليوم في نيل الوطر

* * *

ها أنا يا قومنا منتظره
لسيوف منكمو مشتهره
يا اسوداً في الوغى مقتدره
أسرعوا لا تُشْمِتوا بِيْ الأُمَمَا   واثأروا مِمَّنْ تعدّى وغدر
فمتى أنْظُرْ جمالي هجما   أكسر القيد لكي أجني الثمر

* * *

أنــت يــا أهــرام لا تــيــأس فــقــد
جــاءنــا أنــورنــا الــشــهــم الأســد
وجــمــال الــنــصــر وافــى بــالــمــدد

يَــدْخُــلَــنْ مــصــر الــعــلا مــبــتــســمــا　　بــســيــوف لامــعــات بــالــظَــفَــرْ
ونــرى الــنــيــل غــدا يــجــري دِمَــا　　والــثــرى تُــمْــســي لأعــدائــي حُــفَــرْ

* * *



خطاب رئيس بلدية دمشق

السيد علي رضا باشا الركابي

قاله بالتركية

تعلن دمشق سرورها بقدوم الناظرين وتنازلهما لحضور المأدبة. إنّ الأعمال التي أعلت شأن الملة والصفات التي تعلو عن كل مدح ووصف دعت الأمة أن تحفظ في صدرها الشفاف الزجاجي اسميهما وشخصيهما وسيماءيهما النزيهتين من كل شائبة.

عندما نقرأ التاريخ نَبْجُلُ من ذكرهم بالخير فهؤلاء العظماء وعظمتهم كانت على مقتضى الزمان وعلى حسب الأحوال واستعداد الشعوب الداخلية والخارجية وأما هاتان الناصيتان النزيهتان فمع عدم مساعدة الزمان لهما فإنهما لما رأيا الدواعي تحفَّزا لاستحصال الحرية واستخلاص الأمة من ربقة الظلم والاستبداد عزما أن يحتقرا في سبيلها حياتهما فاستخلصاها من غاصبيها وكانت الأمة وصلت إلى حالة الاحتضار حينما أصابتها ضربة الذل التي نالتها من حرب البلقان المشؤُومة مما أوسع مجال الظنون بأن الأمة قد فقدت قابليتها واستعدادها لكل رقي وقد قام أعداء الدين والوطن للاستفادة من هذه الحالة فحكموا علينا بالموت الأبدي وقاموا يتشبثون بالقضاء المبرم على كياننا المادي والمعنوي. وبينا كانت الأمة على هذه الحال لم يَعْتَرِ الرجلين المشار إليهما فُتُورٌ وقد رسما على خريطة مستقبل الأمة - متوكلين على الله متوسلين بروحانية رسول الله - طرق السعادة والسلامة، وللوصول إلى هذه الغاية قد اتبعا السياسة الإلَهية بقوله تعالى ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ

يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ واكتشفا بها أصدقاء الملة الإسلامية والدولة العثمانية فعقدا معهم اتفاقاً مؤسساً على المنافع المتقابلة المشتركة وبذلك قد أنقذا الأمة والوطن من حضيض الذل والهوان وأعلياهما إلى أوج الرقي والعز.

فلسان التاريخ الذي يبجل أولئك العظماء لا شك أنه يعجز عن تبجيل هذين الوزيرين الخطيرين لأنهما أثبتا بأعمالهما المادية أنهما أكبر وأعظم من أولئك. فإن الأمة التي أدركت جهادكما السامي والهدف المقدس الذي ترميان إليه قد اطمأنت بالظفر والنصر بأن يكونا حليفكما والذل والهوان نصيب أعداء الدولة والدين فأداءً للشكر ترى من الواجب عليها أن تكون منقادة لأول إشارة تصدر من فمكما بصفة نفر عسكري في الجيش. وهائنذا بصفتي رئيس البلدية وباعتباري عسكري قديم أترجم عواطف مواطني الكرام وأعرب عن ضميري والله اسأل أن يجعل التوفيق رفيقكما.

خطاب محمد كرد علي صاحب المقتبس
مؤلف هذا الكتاب
في مأدبة البلدية

سادتي وإخواني:

لا عجب إذا رأينا السوريين على اختلاف طبقاتهم يرحبون بمقدم رجل الدولة أنور باشا وكيل القائد الأعظم وناظر الحربية الجليلة فإنه أدام الله توفيقه محبوب الأمة العثمانية جمعاء تحبه محبتها لروحها لأنه بذل حياته الكريمة في سبيل خلاصها من براثن الاستبداد المطلق وأنقذها هذه المرة أيضاً من مخالب الاستعباد الاستعماري.

كان همُّ النظار السابقين أن ينزلوا القصور ويغالوا في اقتناء النفائس ويظهروا للأمة بمظهر العظمة والكبرياء والرفاهية والبذخ ولكن النظار الذين يتولون شأن الأمة لعهدنا أعادوا للدولة شبابها باطراحهم تلك المظاهر الخلابة وتعلقهم باللُّباب اللازم لحياة مِلَّتهم ونظرهم في داخلية البلاد وخارجها وحدودها وأطرافها كما فعل أحمد جمال باشا قائد الجيش الرابع وناظر البحرية الجليلة فإنه بعد أن أصلح من هذه الديار ما اختلّ من شؤونها ذهب إلى دار الخلافة يفاوض وكيل صاحب الخلافة الأعظم دولة أنور باشا في المسائل العامة وعاد بالعز والإقبال ولما قارب أن يلتقي الجمعان ونزحف على مصر وكان هذا القطر في حاجة شديدة إلى جيش يحمي حماه وجيش يهاجم أعداءنا وكانت هناك مسائل لا تفي بشرحها الرسائل قام دولة أنور باشا وفارق مركزه ومقره وجاء يلاقي أخاه البطل أحمد جمال باشا لإعادة الزيارة وتقوية

أوصال الجيش وتفقد المصالح العامة والنظر في سرائر مكنونة مهمة للدولة والملة.

وأظنكم أيها الإخوان تتصورون مركز ناظر الحربية ومبلغ اهتمام مثل حضرة أنور باشا بشؤون الأمة الموكول إليه النظر في مجموع أمرها، ومستقبلها ولا جرم مناط سيوف جيوشها التي ينظر في الدقيق والجليل منها هذا الرجل العظيم الذي تتمتع أعينكم الآن بمحياه البهيج.

إن التوفيق الذي أحرزته جيوشنا المنصورة في «چناق قلعة» يُعْزَى في الدرجة الأولى لهذا القائد الكريم الذي أحيا وطنه بعد أن كاد يضمحل بسلطة المستبدين في الداخل وهيمنة المستعبدين من الغربيين من الخارج فرد أعداءنا عن حمى دار الخلافة بعد أن بذلوا كل وكدهم[1] عشرة أشهر لاستباحته فهذا الانتصار هو ثمرة تنظيمات هذا الرجل وتنسيقاته فإن روحه القوية التي سرت في الأعصاب من أكبر قائد في الجيش إلى أصغر جندي يخدم فيه وذلك القانون المطبق المفاصل على الكافة هو الذي كان منه هذا النصر الباهر الذي لم يسبق في تاريخ العثمانيين مثله اللهم إلّا فتح محمد الفاتح لمدينة القسطنطينية.

جيشنا المنصور زاحف الآن إلى مصر يخلصها من مخالب انكلترا الظالمة فَهَلاّ تعتقدون اعتقاداً جازماً بإنه سيعيدها إلى أمها الدولة العثمانية وينقذ ثلاثة عشر مليوناً من إخواننا المسلمين يترقبون الساعة التي يشرف بها عليهم أول جندي عثماني والجيش متشبع بالروح العالية التي بثها فيه وكيل القائد الأعظم فكان من أثره ما نلناه وسنناله من التوفيق.

لا شبهة في أن الجيش الذي قهر انكلترا وفرنسا وروسيا في الدردنيل والبوسفور وَهُنَّ في مبدأ قوتِهِنَّ يسهل عليه بحول الله وقوته ومدد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يسترجع حقًّا لنا مغصوباً من حكومة انكلترا الخداعة فنفرق بسيف جمال الفعال ومن ورائه سيف أنور الماضي الحد جموع اولئك الغاصبين المتلاعبين.

---

(١) الوُكْدُ: السعي والجهد.

يحق لكل عثماني بل لكل مسلم أن يفاخر بمثل هذا الحزب السياسي القابض على زمام الحكم اليوم لأن من أعضائه المبجلين أمثال بطل الإسلام أنور باشا وأنا على مثل اليقين بأن جمعية فيها مثل هذا المخلص لوطنه تنجح في كل عمل وطني وجهت وجهتها إليه وعلى نسبة قوة نوابغ الامة واستماتتهم في خدمة أمتهم يَرْهَبُ تلك الأمة عدوُّها ويرغب في صداقتها صديقها.

كان أنور باشا واسطة العقد بين إخوانه في الحكومة التي إليها يرجع الفضل في تحالف دولة الخلافة مع امبراطوريتي «ألمانيا» و«النمسا والمجر» ويعلم الله لولا فضل هذه المحالفة المباركة كيف كانت حال هاتين الامبراطوريتين مع أعدائهما في هذه الحرب العامة وكيف كانت حالنا وحدنا أيضاً في هذا العراك العالمي الشديد فأنور باشا أدام المولى تأييده هو الذي درس هذه المسألة درس تحقيق وعيان فكان له الفضل الأول في اتحادنا مع ألمانيا أرقى دولة في العالم بعلمها وجيشها تلك الدولة التي لم يعهد لها يوماً إن أرادت الشر بالممالك الإسلامية.

فحريٌّ بنا أن نقدر عمله المجيد حق قدره لأنه اهتدى إلى وجه الصواب ببديهة مقرونة بالروية وكان أول من ظاهره في هذه الفكرة السامية ذلك الرجل الشهم ذو الوزارتين البصير بالسياسة وفنون الحرب قائدنا العام أحمد جمال باشا فالأمة الإسلامية تسير بهديهما على صراط من نور وجمال لا فَرَّقَ الدهر بينهما وإني بلسان أهل دمشق أرحب بوكيل القائد الأعظم داعياً في الختام لصاحب الخلافة العظمى بالنصر ودوام الصحة ولرجاله وأمناء دولته بالتوفيق والسعادة صارخاً ليحيى أنور الأمة وليحيى جمالها ولتحيى الجيوش العثمانية وجيوش حلفائنا الألمانيين والنمسويين والمجريين.



تحية الوزيرين

هي القصيدة التي ألقاها الشيخ مصطفى الغلاييني في مأدبة البلدية إكراماً للوزيرين الخطيرين أنور باشا وأحمد جمال باشا

«جمال» التهاني في سما الشام أزهرُ ... وبدرُ المعالي في حمى العُرْبِ «أنورُ»

وروض المنى فينا اريض[1]، وعوده ... بزهر الأماني الغرِّ ريَّانُ مثمرُ

عشقنا «جمال» الترك وهو مُحْجَبٌ ... فلما بدا زاد الهُيام المسعرُ

و«أنورها» قد كان في القلب حبه ... ضميراً، به سر المحبة مظهرُ

فلما تجلى والجلال يحوطه ... شدونا: قفوا، هذا الكمال المُصَوَّرُ

تجلى بأخلاق النبي محمد ... فأشرق بدرٌ بالفضيلة مُقْمِرُ

وجلت معالي الفضل، فيهِ فأثمرت ... معاني لم يبلغ حماها التصوّرُ

فخلّتْ بناتَ الشِعْرِ حَيرى بما رأَتْ ... تهيم، فمعناه أجلُّ وأكبرُ

إذا وَرَدَتْ يوماً مَعِينَ كماله ... فليس لها عن موردِ الفضلِ مصدرُ

وكيف تطيب النفس عن وِرْدِ فضله ... وموردها، وهي الظميئة، كوثرُ

بِكَ الدِّين، دِينُ الله يزهى، وركنه ... يعزُّ، وهامات المكارم تفخرُ

تَسَنَّمْتَ دِسْتَ الأمر، ولاخطب فادح ... فروعته، والذعر كالغيث يهمرُ

فأصلحتَ ما أثأتْ[2] يد الجهل جاهداً ... فعاد رداء المجد وهو مطهرُ

---

(١) أريض: كَثُرَ عشبُ الأرض وازدهى وحَسُنَ في العين.

(٢) أثأَتْ: وشت وشعتْ.

وجاهدتَ حتى عاد للدين عزُّهُ ... وباء عدو الله بالخزي يعثرُ

بَرَزْتَ إليه والأسِنَّة شُرَّعٌ ... وخطب الرزايا للمنايا مشمَّرُ

فأوقَعَ فيه سيفُك العَضْبُ[1] محنةً ... سَتُذْكَر حتى يُحْشَرُ الناس محشرُ

يَزِينُ بها التاريخ صدر حياته ... كما زان أجياد الكرائم جوهرُ

فإن تَكُ فيك الشام تزهى ربوعها ... فإنك للإسلام والشرق مفخرُ

تركتَ (بوانكاره)[2] تكرُّ همومه ... عليه، (وجورج)[3] هام حزناً وقيصرُ

وأنزلتَ فيهم كلَّ رعب، فأوجفوا ... حذار الردى، والهول كالبحر يزخرُ

فهاموا يرومون النجاة كأنهم ... قَطاً راعها في واسع الجو أنْسُرُ

سيلقون في مصر العزيزة مثلما ... لقوا في (فروق) شدة لا تقدرُ

فآسادنا في واسع التّيهِ زُؤَّرٌ ... وخيل وغانا للإغارة ضُمَّرُ

فهيا إلى مصر، ففيها عصابة ... تجور وأهلوها على الخُسْفِ صُبَّرُ

يذوقون من بأس العدى كل مرة ... وليس لهم إلّا «جمال» و«أنورُ»

* * *

---

(١) السيفُ العَضْبُ: السيف القاطع.

(٢) بوانكارية Raymond Poincaré: رئيس وزراء فرنسا آنذاك.

(٣) جورج الخامس وكان ملك بريطانيا وشغل العرش من سنة ١٩١٠ حتى وفاته ١٩٣٦ و«قيصر: يقصد قيصر روسيا».

درر التهاني

قصيدة حسين أفندي حبال صاحب جريدة أيابيل

في مدح القائد الأعظم

روضٍ المسرة أينعا — بالقادمين وأمرعا
أهلاً بأكرم معشر — حيُّوا فأحيوا الأربعا
قوم بحد سيوفهم — نالوا المقام الأرفعا
سادوا فشادوا بالعلى — للدين حصناً أمنعا
وبسيف «أنور» فرقوا — شمل العدى المتجمعا
وبعزمه وبحزمه — طَوْدُ الخطوب تصدَّعا
وبحلمه وببأسه — ملك القلوب ورَوَّعا
النصر من أنصاره — يسعى له أنّى سعى
أكْرِمْ بأكْرَمِ ناظرٍ — حاز الفضائل أجمعا
لا زال بالعيش الرغـ — يد مُنَعَّماً وممتَّعا
بشرى لسوريا فقد — عزت بأنور مربعا
امُجَوهِر التاريخ صُغْ — بيتاً وأَنْشُد مبدعا
(يا أنور بك أشرقت — بيروت والدنيا) معا
ونظمتَ أيضاً بيتَ شعـ — رٍ بالجواهر رُصِّعا
(بشرى لسوريا فقد — شرّفتِ بأنور) مطلعا



عقد التهاني

قصيدة لحسين أفندي حبال أيضاً تليت في مأدبة البلدية

طير الهنا والأنس غَرِّدْ   بقدوم ناظرنا المؤَيدْ
وبأفق سوريا بدا   قمران في آنٍ وفرقدْ
قمر السعادة «أنور»   والبدر «أحمدنا» الممجد
والفرقد الوضاء «عزمي»   داموا بتوفيق مُخَلَّد
يا رب مَكِّن سيفهم   بِطَلَى عُداةَ الدين سرمد
يا رب أيِّدْ جيشنا   وانْصُرْ خليفتنا محمد
وارفع لنا أعلامنا   بالفتح في عزٍّ وسؤدد
وإليكم بيتاً غدا   من جوهر التاريخ مفرد
بشرى لسوريا فقد   شرفت بأنورها وأحمد

سنة ١٣٣٤



خطاب العلامة أسعد أفندي الشقيري
في مأدبة البلدية

إن الأعداء المحاربين ألقوا من طياراتهم أوراقاً ورسائل منوعة مملوءة بالأوهام والأباطيل وكان من أهمها ان المسلمين يقلدون تقليداً أعمى كل حكومة ظهرت عليهم وقبضت على زمام إدارتهم فهذا وهم لأن المسلمين لا يقلدون ولا يخضعون إلّا لكتاب الله المنزل على محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب وهذا الكتاب فيه بيان لمعتقداتهم وأحكامهم وسياستهم الداخلية والخارجية وأحوال من قبلهم من الأمم وجميع ما يلزمهم مما ظهر للوجود وما لم يظهر بعد ولربما خطر على بال الأعداء أن تأليف الأحزاب والخلع والانقلاب وإدارة الحكومة بهذه الصورة لم يكن في صدر الإسلام ولم يذكر في الكتاب ولا في كلام السلف ولو اطلعوا على قوله تعالى في كتابه من أن كل حزب بما لديهم فرحون وعلى ما في سورة الأحزاب من الآيات وعلى التفريق في القرآن بين حزب الله وبين حزب الشيطان لعلموا علم اليقين أن كل حزب بنى مسلكه على أساس شريعة سماوية كان حزباً منسوباً لله ومن ابتدع واخترع ولم ينتسب لشريعة ربانية فهو حزب الشيطان وقد ثبت عند المسلمين كافة ان الحزب السياسي الذي يدير هذه الحكومة الإسلامية كان عنده قوة عظيمة ودخل دار الخِلافة عنوة بجيش الحركة وكان عنده مجلس من النواب والأعيان يوافقه على فكره إلّا أنه ما تعرض لخلع الخليفة ونزع السلطة عنه إلّا بعد أن استحصل على الفتوى من مشيخة الإسلام وتمسك بشريعة سيد الأنام

وكذلك فعل في إعلان النفير العام والحرب فلم يقدم عليها إلّا بعد الفتوى الدينية ولما أثبت هذا الحكم تمسكه بكتابِ الله وشريعة رسول الله أقرّه المسلمون وعلماؤهم وظاهروه على مبادئه المشروعة ولم يكن ذلك منهم عن خوف وخشية أو تأثير وإنما كان ذلك عن قناعة بأمور موافِقَة لمعتقداتهم وقد ترك الجيش الإسلامي بعد الانقلاب الحرية المطلقة للحكومة الملكية والأهالي فتعددت الأحزاب وكثرت الأندية وتصادمت الأفكار وزاد الاختلاف والاضطراب إلى أن وفق الله أسود الجيش الإسلامي ورجال الدولة العظام لتلافي الأمر ولإزالة ذلك الاختلاف والاضطراب.

وبعد أن بحث فيما تولَّد في بلاد الأرناؤوط من الجدال والقيل والقال تكلم فيما كان في سورية والأراضي المقدسة من المناقشة والمجادلة واجتهاد الوزارة التي سقطت في إزالة سوء التفاهم والإصلاح وسوء الإدارة ولم يكن لها التوفيق رفيقاً لا في تشخيص المرض والعلّة ولا في الأدوية والمعالجات إلى أن قَيَّضَ الله لهذه البلاد دولة أحمد جمال باشا فعيّن قائداً عاماً للجيش السلطاني الرابع فنقل مسألة فلسطين وسورية من طور إلى طور ومن حال إلى حال وكشف مرضهما المزمن الذي كان متعصِّياً ونوع له المعالجة في صور مختلفة وعقاقير منوعة حتى زال المرض بحول الله وقوته وقال إنَّه يعتقد أن أكثر رجال هذا الحزب السياسي لا يقدرون على مسلكه ومتانته وحكمته التي سلك بها هذا المسلك العجيب.

ثم تكلّم في نفرة دولة أنور باشا من مدح الشعراء وثناء الجرائد وأهل الخطب وقد قسم الفرح بالمدح والثناء إلى قسمين أحدهما مذموم ان دخله الغرور والزهو والكبر والفخر كقوله تعالى لا تفرحوا ان الله لا يحب الفرحين وان كان الفرح بما أنعم الله به تعالى من الأخلاق العظيمة كحسن الاعتقاد والشجاعة والإقدام والثبات والعزم في الأمور فالفرح مطلوب تحدثاً بنعمة الله تعالى كما في القرآن: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وتكلّم بعد هذا في اختلاف البشر وبين مراتبه فقال إنَّ الناس من حيث

العموم في هلاك ما داموا في الجهل المطبق كما جاء في الحديث النبوي الشريف الناس هلكى. ومن أخذ حظه من علم مخصوص فقد دخل في الاستثناء الوارد في الحديث بقوله إلّا العالمون والعالم لا ينجو من الهلاك إلّا إذا عمل بما عَلِمَهُ فماذا يفيد الزارع والصانع والمدرّس والفقيه علمه مع قعوده عن العمل ومن عمل بما علم فقد دخل في الاستثناء الوارد في الحديث بقوله إلّا العاملون فإن من عمل لرياء وسمعة وحرص على مدح في جريدةٍ أو لِبسِ ذهبٍ وقصبٍ أو نيلِ رتبةٍ أو حمل وسامٍ فقد صرح سيد الأنام بأن المُخْلَصَ في عمله أيضاً على خطر عظيم لما يطرأ على النفوس في بعض الأحيان من الزهو والغرور. وذكر بعد ذلك أن أنور باشا فارق المناظر الزاهرة في دار الخلافة وذهب إلى طرابلس الغرب توسد فيها التراب ولبس أخشن الثياب وقد فعل ذلك بدافع الإخلاص لدينه ووطنه وكان أكثر المدعين للإخلاص نائمين على فرش الهناء لا يعلمون من طرابلس إلّا اسمها ولم يشاهدوا في الخريطة إلّا رسمها.

إلى أن ختم خطابه بقوله أن جميع المسلمين فرحون لتشريف وكيل القائد الأعظم لزيارة أراضيهم المقدسة وقد اقتفى حفظه الله أثر سلفه الصالح سلطان المجاهدين مولانا صلاح الدين الأيوبي وقد ابتهل الجميع إلى الله تعالى بتأييد مقام الخلافة والإحسان بالنصر والفوز للجيش الإسلامي وأسطوله وحفظ البلاد العثمانية من جميع الآفات الكونية.



أقوال صحف دمشق والشعراء

جاء في المقتبس بقلم أحد محرريه شقيقنا أحمد كرد علي

إجلال الأبطال

يقول أحد فلاسفة الغرب:

«فضيلة إجلال الأبطال هي الصخرة الراسخة التي تمنع الدول من السقوط» وعلى هذا فإذا كان حلفاؤنا الألمان يُجِلُّونَ أبطالهم أمثال غليوم وهندنبورغ والنمسويون يجلون ومن ماثلهما من الأبطال العظام في الحرب الحاضرة والعثمانيون لا بل المسلمون يجلون أبطال الإسلام أمثال أنور باشا وجمال باشا يخدمون بإجلالهم دولتهم ووطنهم إذ إنّ الدولة هي ذاك العرش المعنوي المقدس بلسان كل وطني وقلبه لا بد له من ابطال يحمون ذماره ويدفعون عنه عوادي من يحاولون إيذاءه من أعدائه اللئام فإذا أَجَلَّ الناس الأبطال فإنهم يجلون تلك القوة العظيمة، تلك القوة المحبوبة، التي دفعت عنهم وتدفع هجمات العدو المداهم لهم وهتك عرضهم وترميل نسائهم وتيتيم أطفالهم ولا يفعل العدو هذا الفعل إلّا ليبني لأبناء جنسه مجداً من هتك شرفنا وعزنا، وسعادة من تدمير بيوتنا واستصفاء أرضنا ومرتعاً من ازهاق أرواحنا. يريد الأعداء أن يقتلونا ويُجْلُونا عن بلادنا ليتمتعوا هم أنفسهم بهوائها البليل ومائها العذب يريدون امتلاك أراضينا ليأكلوا هم ما تنبته الأرض من الخيرات وما تحمله أشجارنا من يانع الأثمار.

وعليه فإننا إذا أجللنا أبطالنا وقدمنا لهم كل ما في طاقتنا من التكريم

فإننا نخدم دولتنا ووطننا لأن ما نفعله يثير روح العمل والنشاط في النفوس الخاملة فتظهر مزاياها فتخدم وطنها ويتألف منها مجموع كامل يخدم البلاد فترقى إلى أوج السعادة والعلاء والمجد فتنال المكانة التي يؤهلها إليها تاريخها المجيد.

حدا بنا إلى كتابة هذه السطور ما رأيناه وسمعنا به من ضروب التكريم وما أقيم من معالم الزينة في حلب ودمشق وبيروت ويافا وغيرها من المدن السورية والفلسطينية التي حلّت بها ركاب بطلي الإسلام العظيمين صاحبي الدولة أنور باشا وجمال باشا ناظري البر والبحر فقلنا في أنفسنا الحمدلله تعالى إذ قد نشطت الأمة من عقالها فازدادت فيها الروح الوطنية قوة فأدركت معنى الفروسية والفرسان وأخذت تكرمهم لأنهم فدوا مصلحتهم الذاتية في سبيل المصلحة الوطنية العامة وسلبوا راحة أنفسهم بأنفسهم في سبيل راحة أبناء وطنهم المستقبلة حرموا أنفسهم لذيذ النوم لينام الأهلون في سعادة وهناء حرموا أنفسهم لذيذ الإقامة في مسقط رأسهم كي تهنأ الأمة بالمقام في بلادها وتقر عيونه بروية فلذات أكبادها.

وبعد هذا فلا عجب إذا رأينا الأمة من أولها إلى آخرها في هذه الديار وغيرها من بلاد دولة الخلافة تقيم معالم الزينة وتنظم القصائد وتُحَبِّر المقالات وترتل الأناشيد في استقبال البطلين العظيمين أنور باشا وجمال باشا في كل بلد يؤمانها وفي كل بلدة يغادرانها تكريماً للمزايا الرفيعة والخصال العالية.

* * *

وقالت الرأي العام:

يا مرحبا بالقادم الكريم

﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ (قرآن كريم)

أهلاً بك يا سيف الإسلام ومرحباً بطلعتك يا رافع لوائه لو بسطنا لك القلوب لتطأ عليها بأقدامك السعيدة التي لم تطأ بلداً إلّا وأحيته لكان ذلك قليلاً. لقد ملئت أفئدتنا شغفاً بأعمالك العظيمة التي لم يسبقك بها الأولون

ورفعت شأن هذه الأمة من حضيض الذل والهوان إلى أوج العز والرفعة. بين المتمدنين ملأت أبصارنا دهشة بأنوارك الباهرة وكسوت أجسادنا أثواباً من المجد فاخرة.

هنيئاً لكِ يا سورية بل هنيئاً لكم يا أبناء يَعْرُبَ وعدنان بالقادم الكريم. أجل لقد نلنا ما تمنيناه من أمد بعيد من مشاهدة هذه الأنوار التي أشرقت على العالم الإسلامي فأضاءته وأحيته.

بشراك يا سورية بالسعد القادم فقد سبق وعلم الخلق بأجمعه بأن أنورنا المحبوب لم تطأ قدماه أرضاً إلّا وأصلحها ولا مدينة إلّا وعمرها ولا ساحة حرب إلّا وانقضّت جيوشه بها على العدو فأحلت به الدمار وخذلته وقهرته ولا غرو فإنه من عباد الله الصالحين وممن نزلت بحقهم الآية الكريمة ﴿أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾.

إن القلم ليعجز عن تعداد فضائله التي هي أكثر من أن تحصى، لقد خلقه الله ووهبه حكمة بالغة وسِعَةَ صدر عجيبة فكان مذ نعومة أظفاره يَجُدُّ وراء حياة هذه الأمة وإعلاء شأن الدين، نهض نهضة الأسد ومزّق جب الأوهام والاستبداد وهيّأ للأمة مستقبلاً سعيداً وألقى بنفسه في مهالك عظيمة لنجاة هذا الدين الحنيف ورفع لواء الإسلام ولقد نجاه الله ووهبه السعد والإقبال ليخدمه إذ قال جلا وعلا أنصروني أنصركم، وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين.

جاهد بعد إعلانه الدستور لإيجاد روح شباب الإسلام في المملكة وجد وراء ارتباط العالم الإسلامي بأجمعه من المشرق إلى المغرب حتى طَبَّقَ ذكره الخافقين واضحى الصيني والهندي والأفغاني والتونسي والعربي يتلظى شوقاً لرؤية محياه ويدعو الله في صلاته وصيامه بطول عمره وبقائه.

أدهش الغربيين باقتداره وذكائه، أُعْجِبَ الأحباء منهم بأعماله ونياته، أوجد للدولة العلية الإسلامية قوة وعظمة ودب في روح أبنائها الحياة الحقيقية وبه فهموا معناها حتى أضحت به تضاهي الدول العظمى قوة وعلماً وسياسة وببرهة وجيزة دوخت الأعداء وطربت لها قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

تولى حفظه الله نظارة الحربية فرأى حالة الجيش محزنة فواصل ليله بنهاره لجعله جيشاً تهابه الأسود وتخشى سطوته بلاد الأعداء ولا غرو فالتاريخ يعيد نفسه فما هي إلّا عشية وضحاها حتى ظهر الجيش الإسلامي كما تظهر الأسود من عرينها، ظهر جيشاً عرمرماً كامل العدّة والعدد منظماً أجل التنظيم أوجد في قلبه إيماناً لا يتزعزع عَلَّمَهُ كيف يجب أن يعيش لإحياء دين الله وقد ظهرت في هذه الحروب الضروس نتيجة عمله العظيم.

رأى، أَمَدَّ الله بحياته وحياة زملائه العظام، أن دول الفسق والفجور اللواتي أردن محو الإسلام وسحق ابنائه قد عزمن على تنفيذ مآربهن فتذكر قوله تعالى ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فرفع علم الجهاد المقدس ونادى بالمسلمين حي على الفلاح.

لقد حقت ارادة الله جلا وعلا بنصر المؤمنين وأجاب نداء عباده الصالحين وها أن النصر والظفر مرسومان على محيا هذا البطل الكبير الذي خصّه الله بكل مزية عالية ووهبه كل وصف حميد.

هذا هو سيف الإسلام القاطع الذي شرف هذه الربوع فأهلاً بك يا خير قادم ومرحباً بنورك أيها الوزير العظيم ها إن قلوبنا خافقة محبة لك وأعيننا تسيل دمعة الفرح والسرور بالنظر إلى نورك وألسنتنا تلهج بالتوسل إليه جل وعلا أن يحرسك بعين عنايته لتظل للعالم الإسلامي حصناً حصيناً ودرعاً منيعاً. وأنتم يا أبناء يعرب وعدنان والهلال طيبوا نفساً وقروا عيناً بالسعد القادم واهتفوا جميعاً بلسان واحد عاش أنور عاش جمال وعاش الإسلام بهما وساد السلام.

* * *

يا جمال الدين

﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ (قرآن كريم)

لقد انتعشت القلوب بقدومك الميمون وعمّ الفرح وساد السرور بنور جمالك الباهر. يا بطل الإسلام وحامي بنيه حللت ربوعنا فأزهرتها ونهضت بها

من الذل والخمول إلى العز والعمران أوجدت لدولة الإسلام قوة متينة كانت له سنداً وعضداً. يحار القلم بماذا يصف أعمالك الخارقة وحسناتك الباهرة فشكراً وألف شكر لجلالة خليفتنا المقدس الذي أرسلك إلينا لننعم بالاً وتقرّ أعيننا بشمائلك.

أحمد جمال باشا ومن ذا الذي لم يتلظ شوقاً لرؤْية جماله لقد أعجب بسمو أفكاره وعلو مداركه العدو فضلاً عن الملايين من المسلمين العاشقين له. أوجد في الإسلام روحاً شريفة نهض بدولة الخلافة بعد أن مزق ستار الأوهام وهيأ لابنائها ما كانوا ينتظرونه من السعد والإقبال تولى أطال الله عمره حتى جعلها في أيام قليلة لا تقل وصفاً بإدارة الأمور عن أهم نظارة بحرية أوربية أوجد للدولة العلية أسطولاً ضخماً تهابه أساطيل الأعداء تكاتف مع زملائه العظام لرفع شأن الإسلام والنهوض به وتخليص ابنائه من ظلم الأغيار فخدمه السعد ووهبه الله النصر والظفر وأعطاه الحكمة البالغة ومنحه شجاعة ما فوقها شجاعة وبسالة لم توجد بأحد البسلاء ولما رأى حفظه الله وأبقاه دول النفاق الائتلافي تزأر لمحو الإسلام وهو أحد أركانه الناهضين لاحيائه أبت نفسه الشريفة الصبر على هذا الضيم فكان أول من استل سيف الجهاد وأصدر أمره لأسطوله المظفر بسحق العدو الذي جاء بأسطوله لأبواب دار الخلافة من جهة الدردنيل وكان ذلك حيث حقت كلمة الله جل وعلا وتمثّلت بوجهه الصبوح ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ وبعد أن بطش الأسطول العثماني الذي أوجده جمالنا العظيم تلك البطشة الكبرى وفاز باللذة التي لم يفز بها غير الجسور صاح بالمسلمين حي على الجهاد حي على الانتقام.

ولما كان قد أخذ على نفسه تخليص البلاد الإسلامية من الأسر والاستعباد والنهوض بالعالم الإسلامي إلى العز والافتخار فقد تقلّد أعانه الله بنفسه قيادة الجيش الرابع وآلى على نفسه أن يخلص مصر وافريقية من مخالب الفسق والفجور ويجعل تلك الأراضي المقدسة الآهلة بالمسلمين ترفل بحلل السعادة والهناء فأمده الله بقوة عظيمة من المعونة الإلهية وشرف قدومه السعيد إلى هذه الربوع التي أحياها بعد مماتها.

سورية، لم تكد تطأ أقدامه هذه البلاد حتى انقلبت فجأة من حال إلى حال ولا غرو فذلك سر من أسرار الله يهبه لمن يشاء من عباده المخلصين.

أوجد في سورية جيشاً عرمرماً وحياة له طيبة. طهرها من الفساد وزرع فيها حب الإسلام وعلّم ابناءها كيف يجب أن يعيشوا لاحياء دينهم مَثَّلَ في أعماله الرجال الأولين وفاق عنهم بمراحل بما أتاه من المعجزات كان يواصل الليل بالنهار يشتغل في إدارة شؤون هذه المناطق حتى عمّ ذكره الخافقين والتحقت به أبناء هاشم وعدنان.

كان يَجدُّ وراء إعمار هذه البلاد وبالوقت نفسه كان يُسَيِّرُ الأسطول العثماني كيفما يشاء ويلهمه الله لكل أمر فيه الخير والنفع العام. ظهر الخير والبشر في هذه الأنحاء على يده وكان قدومه الكريم أكبر مساعد لتحقيقه فلم يبق صغير ولا كبير إلّا وهو يتوسل ليلاً ونهاراً لرافع السماء وباسط الأرض بأن يَمُدَّ في حياته ليعلو شأن الإسلام به أغنى الفقير ورحم الغني وساعد المتوسط وأشفق على الكبير والصغير حتى امتلك القلوب.

أحيا الصحراء والسهول والوديان والجبال التي لم تعرف طعماً لهذه الحياة السعيدة بما أوجده فيها من الخطوط الحديدية وتسهيل المواصلات. خفّف عن الجيش عبأً ثقيلاً بما أبداه من المعجزة في إنجاز الخطوط الحديدية وتسيير القطارات في طريق مصر التي تنتظر قدومه السعيد.

هذا هو الجمال الذي عاد اليوم إلينا وأشرق نور جماله في ربوعنا فأهلاً بك يا بطل الإسلام ومرحباً بقدومك يا رب الشجاعة والإقدام نصرك الله وهيأ لك فتح مصر التي تناديك. أغثني يا جمال الدين وخلصني من الظلم والاعتساف وأدخلها بسلام حيث ترى الأمة الإسلامية رافعة فوق رأسها لاستقبالك علماً نقشت عليه الآية الكريمة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾

منير المدور

* * *

وقالت جريدة أبابيل

أنور باشا

وكيل القائد الأعظم وناظر الحربية الجليلة

من هو أنور باشا؟

إن أنور باشا هو ذلك الرجل الذي تغذى من لبان الديانة الإسلامية ونشأ في حجر التقى والصلاح فتجسمت في جثمانه روح الحمية المحمدية وسرى في عروقه دم الشهامة الهاشمية فأصبح مَعْدِنَ المروءة العثمانية وينبوع الغيرة الوطنية.

رأى حفظه الله وأبقاه مع إخوانه أبطال الدستور وحماة الحرية والوطن أنّ الحكومة الاستبدادية لا تنطبق مع روح الشريعة الإسلامية السمحاء ومحجة الشورى البيضاء فنهضوا جميعاً نهضة الأسود من عرينها فسلوا سيوفهم ومزّقوا حجب الاستبداد التي كانت متلبدة في سماء العثمانية وقوضوا عروش الاستبداد ودكوا صروح الجور وزلزلوا طود الاعتساف فخلصوا الأمة الإسلامية والرعية العثمانية من براثن الظلم ومخالب العبودية وشادوا معاقل العدل وحصون السلام وأذاقوها لذة العدل وطعم المساواة.

إن أنور باشا هو ذلك البطل المقدام الذي كان ولم يزل يواصل ليله بنهاره في سبيل نصرة الدين وإحياء معالم الشريعة السمحاء وشعائر الديانة الإسلامية الغرّاء وحفظ بيضة الخلافة المحمدية والممالك العثمانية.

مرّ على هذا البطل العظيم ردح من الزمن وهو صارف قصارى جهده لإعلاء كلمة الله حتى جعلها هي العليا وكلمة أعدائها السفلى وناهيك بالحرب الطرابلسية التي فارق بسببها راحته والحرب البلقانية التي كابد فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والحرب الضروس الحاضرة وما أظهره فيها مع إخوانه ابطال الدستور وحماة الدين والوطن من خوارق العادات حيث عادت فيها رؤوس الدول المعادية ولا سيما انكلترا وفرنسا بخفي حنين وآبت فيها تجارتهم بصفقة المغبون فرلزلوا إقدامهم وفوضوا صياصيهم

وقلاعهم ودوارعهم وطياراتهم وأفنوا رجالهم وأسكتوا مدافعهم وفلوا جموعهم وأعادوا بقية سيوفهم إلى حيث... واغتنموا عُددهم ورفعوا مجد الأمة الإسلامية في الأقطاب الأربعة بدفاعهم المجيد عن باب الخلافة المحمدية بما أظهروه من الخوارق التي سطرها لهم التاريخ بأحرف من نور على جبهة الدهور.

هذه نبذة من أعمال وكيل قائدنا العظيم العام نُسَطِّرها اليوم لنزين بها صفحات جريدتنا أبابيل تخليداً لذكره وإقراراً بفضله.

يحق للبلاد السورية اليوم أن تباهي مدن العالم بزيارة هذا البطل العظيم لربوعها.

تموَّجي أيتها الأعلام العثمانية فرحاً وسروراً وأخفقي أيتها الألوية طرباً وحبوراً وصفّقي أيتها القلوب مكان الأيدي بهجة واستبشاراً بقدوم سيف الإسلام القاطع صاحب الدولة أنور باشا وزير حربيتنا الجليلة.

* * *

وقالت أبابيل أيضاً:

من هو أحمد جمال باشا

«أعاظم الرجال تُعرف عند الشدائد»

عند حدوث الانقلاب الدستوري حركت المقاصد النفعية بعض أرباب الشرور فأثاروا اختلالاً في أطنة فرَّقوا به بين العناصر العثمانية وسبّبوا به إراقة الدماء فيتمت الأطفال وترملت النساء وبدأت بعض الدول حينئذٍ تتحفز للوثوب على الحكومة العثمانية عادّة هذا الأمر شركاً تصيد به ما تقصده وتستحوذ على ما تتمناه وحارت الأستانة عند ذلك الأمر وضاق بأهل العقد والحل نطاق التدبير من أجل اطفاء تلك الفتنة فلم يروا بدًّا من انتخاب رجل ذي تدبير ومضاء عزيمة ذي فطنة نفّاذة وعقل راجح غيور على مصالح الدولة فانتخبوا ذلك الرجل العسكري «أحمد جمال باشا» والياً لاطنة فأخمد نار الفتنة واستأصل جذور الثورة وآخى بين العناصر وأرجع الأمن إلى نصابه فعلم

العثمانيون حينئذٍ أن لهم رجلاً قديراً على مهام الأمور نابغة في سرعة الوصول إلى المقاصد الجليلة وهو «أحمد جمال بك» ذلك اليوم.

قبل أن يتولى «أحمد جمال» بك ولاية بغداد كان الأمن فيها مضطرباً والتآخي مفقوداً فبوصوله أوجد أمناً وتآخياً عرفه له الخاص والعام.

تآمر بعض الأشرار على انقلاب الحكومة وبدأُوا بإجراء ما يضمرون فأدموا قلب الأمة وقتلوا المرحوم محمود شوكت باشا الصدر الأعظم. حارت الحكومة ولم تدرِ كيف تقبض على المتهمين والجانين فنهض «أحمد جمال بك» ذلك اليوم (اليوم الذي ترتعد له الفرائص) ونظم ثلة من الشرطة وبحث بنفسه عن الجناة وطاردهم وقبض عليهم وزجهم بالسجن وأفهم الناس أن العزم والحزم لا يبرحان جنبيه وان التدبير والتوفيق يرافقانه وبما اعتاده من الجد حينئذٍ وُفِّقَ لإعلاء شأن الحكومة في أعين الشعب وأوروبا معاً فقد قالت جرائد أوروبا عنه ذلك اليوم أن أحمد جمال بك هو حياة للعثمانية لأنه خلَّصها من الفوضى بل من الموت المحقق زد على ذلك خدمته في الحرب البلقانية فقد كان أول من دعا لفكرة استرداد أدرنة بالقلم والسيف معاً وأول من اهتم بهذا الأمر.

ومن مناقبه العديدة التي لا تحصى إصلاح نَظَارة النافعة بعد ما عُرِفَ من عدم ترتيبها وتنسيقها. وإصلاح البحرية وتنسيقها كل ذلك بهمة أحمد جمال باشا ناظر البحرية وقائد الجيش الرابع العام فقائد مجيد ذو خلق حميد ورأي سديد وعلم ومعارف وتجارب أثبتت للملأ أنه سيقود جيشنا المظفر ليرويه من ماء النيل وليكتب على رايات ذلك الجيش ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين وعلى قلوب الشعب النصر حليفنا إن شاء الله إن قائدنا اليوم صاحب الدولة «أحمد جمال» باشا الموفق والمظفر بعون الله وعنايته سيخلد له التاريخ أعماله المجيدة بأحرف من نور ولا بدع فإن أعاظم الرجال تعرف عند الشدائد نسأله تعالى أن يوفق رجال دولتنا العلية لإعلاء شأن الملة بظل خليفتنا المعظم أمير المؤمنين وحامي حمى الملة والدين اللهمّ آمين.

هذا وللقاريء الكريم بعض أعماله في سورية:

ما كادت تطأ قدما هذا الرجل العظيم مدينة دمشق إلّا وقبض على زمام الأمور وأحاط علماً بكلياتها وجزئياتها فاستفز الهمم وحرّك العواطف فأحيا الشعور الإسلامي الكامن في نفوس الجيش إلى غير ذلك مما يطول شرحه.

أما ما أتاه من الخوارق في إنشاء الطرق العديدة والشوارع الكثيرة فحدث عنه ولا حرج وناهيك بفرع سكة حديد مصر التي لم يمضِ عليها زمن يسير إلّا ووصلت إلى بئر السبع وعمّا قريب ستصل إلى الحفير ذلك الفرع الذي سيكون له في عالم السياسة والتجارة شأن عظيم نسأله تعالى أن يوفق رجال دولتنا العلية لما فيه عمران البلاد وراحة العباد إنه كريم جواد.

* * *

وهذا تعريب ما قالته جريدة سورية الرسمية

استقبال خطير محتشم ويوم مسرّة لا ينسى

تباهت دمشق وضمّت على شأنها يوماً مشهوداً ما حصل مثله منذ ألوف من السنين وهذا اليوم هو يوم الاثنين المصادف ٨ شباط سنة ٣٣١.

هذا اليوم هو عيد مبجل يُضَمُّ إلى تاريخها وأعني اليوم المبارك الذي شرف به حضرة أنور باشا أكبر أولاد الوطن وأجلهم وزار دمشق فأحيا ربوعها وأظهر شأنها الإسلامي والعثماني فكان قدومه ووطء أقدامه في دمشق فخراً لها وإسعاداً.

إن أفق الحاضرة الذي يمنحنا يوماً ميموناً قد كانت فيه قلوب العامة والخاصة مملوءة بالمسرات منذ لمعت شمسه واستقبله الأهلون استقبالاً مهمًّا فكانت تسعى في إعداد الوسائل التي تليق به إجابة لنداء الإلهام القلبي.

إنه يومٌ كان له شأن وشرف عظيم توّجت به صحف التاريخ العثماني ورفعته إلى مقام يميّز عن تاريخ صوقوللي باشا وسنان باشا ونابوليون هو يوم شَرَّفَ به وكيل الحضرة السلطانية المحبوب منا والمحترم عندنا وزار فيه مباني بلدة دمشق الرسمية والخصوصية ورايات الظفر تلمع براعة استهلال لشأن العثمانيين وشوكتهم.

كل طلعة كانت مشرقة بالسرور لامعة بالأشواق والأفراح. اليوم لبست دمشق لباس سعد وهناء وجاء أفراد الأمة وقلبهم يخفق بالعثمانية وشاهدوا نور طلعة القائد العالي الشأن ونور طلعة حضرة جمال باشا قائد الجيش الرابع وساعده الأقوى ولأجل إظهار شعورهما الصحيح قد جلسا في صدر الموقع في ذلك النادي الفسيح...

* * *



أنور باشا وجمال باشا تحت قوس نصر في القدس الشريف

في فلسطين

تتمخض الأيام في كل عصر وحين وتلد من النوابغ من يُحلّون جِيدَ أمتهم وبلادهم فيتجدّد أو يزيد بهم رونقهما بهاءً ورواءً ولكنها لا تجود في كل وقت وزمن بالنوابغ الأفراد الذين يدهشون زمانهم وقد يمرّ الحين بعد الحين ولا تلد فرداً منهم وأعني بهؤلاء الأفراد الذين امتازوا بالأعمال النادرة أو وقفوا موقفاً عظيماً في حادث عظيم أو رُزِقوا موهبة مدهشة مثل أبي بكر في محنة الردة وعمر في الفتوحات وصلاح الدين في علو الهمة وبونابرت في كبر النفس وواشنطون في قيادة الجيوش ولوثيروس في الثبات على المبدأ وأنور وجمال في النهضة والأعمال.

ومن يجهل ذلك العمل العظيم الذي قام به أنور باشا وزملاؤُه العظام من احياء الدستور وتأييده بل احياء الأمة بأسرها ونهضتها بل احياء الإسلام كله ومن لا يعرف جهاده بنفسه ومفاداته بكل شيءٍ في سبيل حياة الأمة وسعادتها فقد كادت أولاً نهضته النادرة تتلاشى وتندمج في غيرها من الأمم والشعوب الضعيفة.

إن عمل أنور باشا وزملائه لمن الآيات البينات والأعمال العظيمة النادرة التي طبَّقَتِ الأرض شهرتها فهو ولا أبالغ من الأعمال الصدِّيقية والفاروقية والصلاحية وفوق عظمة أعمال نابليون وواشنطون إذا لاحظنا الزمان والمكان فوجود أمثال هؤلاء الناس من النوادر الخوارق التي لا تسخو بها الأيام في كل وقت وحين.

فإن صح الأثر المشهور «إن الله يبعث على رأس كل مئة سنة من يُجدّد لهذه الأمة أمر دينها» فأنور وجمال من هؤلاء المجدّدين هذا من جهة الأعمال. أما هما من جهة الأخلاق الفاضلة فليست أعمالهما أعظم من أخلاقهما وقد عرف السوريون والفلسطينيون جمالهم وقائدهم وقد عرفوا أنور بثباتِه وإقدامهِ ومفاداتهِ عرفوه أنه روح الأمة ومؤسس سعادتها عرفوه في مركزه العالي وذروة مجده الشاهقة ولكنهم ما عرفوه في أخلاقهِ الاجتماعية والدينية حتى تفضل فزارهم هذه الزيارة التي يعدونها أعظم أعيادهم ومبدأ لتاريخ حياتهم الجديدة.

زار حلب وسورية وسمعنا وقرأنا ما قام بهِ سكان تلك الجهات من الاحتفالات الباهرة والبهرجة النادرة ولا عجب فإنهم يستقبلون محبوبهم وفاديهم يستقبلون مخلص الأمة الذي احتفلت له القلوب بين ضلوعها وكادت تغرق المُقل فرحاً بمياه دموعها - (من عُظم ما قد سرَّني أبكاني) زار سورية وما كان ليبخل وهو الكريم النفس والخلق بزيارة شقيقتها فلسطين التي تطايرت نفوس أهليها وألقت أشعتها اللطيفة على الخطوط القطارية في طريقهِ انتظاراً لقدومه الجميل فزار أولاً يافا صباح اليوم الثاني عشر من شهر شباط على الحساب الشرقي سنة ١٣٣١ فكان له ولجمالنا وزملائهما من الاستقبال الحافل أحسن استقبال.

لم تكن زيارة مدينة يافا داخلة في خطة سفر القائدين العظيمين صاحبي الدولة أنور باشا وكيل القائد العام وناظر الحربية وجمال باشا قائد الجيش الرابع وناظر البحرية ولكن قائد الموقع حسن بصري بك الجابي تجاسر على دولتيهما ودعاهما باسم البلدة فلبيا دعوتها فقابلته بكل ما لديها من وسائط الاحتفاء والزينات الباهرة التي فاقت على مثلها في غير بلدان بشهادة من كان في معيّة دولتهما فقد كانت الزينات التي أقامها أبناء يافا واللد والرملة في ذلك اليوم من أجمل ما رأى ثغر يافا.

وصل قطار الوزيرين الخاص إلى محطة الرملة الساعة الخامسة من صباح الجمعة فكان في انتظاره جميع من في القضاء من مأمورين عسكريين وملكيين وأعيان القوم وأفاضلهم ولما وطئا الأرض دوى الفضاء بأصوات التصفيق والهتاف فسارا بين جماهير الخلق إلى سرادق فخيم نصب هناك بعد

أن مرّا تحت قوس نصر زُيِّنَ بأحلى زينة وبعد أن تناولا الفطور في محطة سكة الحجاز أقلتهما السيارات إلى مكان استعرضا فيه الفرقة المرابطة في تلك الأنحاء ومن هناك أخذا طريق يافا والتوفيق قائدهما فوصلاها الساعة الحادية عشرة وكان دخولهما من شارع جمال باشا الجديد الذي انشيء على أحدث طراز وهناك ترجلا بإزاء قناصل الدول والرؤساء الروحيين وإشراف البلدة ووجوهها الذين كانوا بانتظار بزوغ شمس طلعتهما فاسكرا الناس بلطفهما المشهور وابتسامهما الخلّاب.

ولما كان هذا الشارع لم يفتح بعد رسميًّا كلف صاحبه دولة جمال باشا دولة أنور باشا أن يفتحه بيده الكريمة فتنازل دولته وقطع شريطاً من الحديد كان يمنع مدخله ونحرت وقتئذٍ القرابين وتلا فضيلة مفتي يافا دعاء أمن عليه الجميع وسار بعد ذلك الضيفان الكريمان مشياً على الأقدام فمرّا تحت قوس نصر مزدوج أُقيم على عرض الشارع البالغ ٣٠ متراً فكان منظراً لم تقع العين على أجمل منه ولما توسطا الشارع ركبا سيارتهما ومرّا تحت قوسين آخرين من بديع الصنع وجميل الهندسة إلى أن وصلا إلى منزل هرنك حيث أعد المجلس البلدي لدولتهما مأدبة تليق بمقامهما.

وبعد الطعام ركبا إلى دار الحكومة فكانت ألوف الخلق تحييهما على الجانبين وهناك في البهو الكبير تصدرا بدرين منيرين وأخذ قائد الموقع يقدّم لهما وجهاء البلدة وأعيانها واحداً واحداً فأبديا التفاتاً خاصًّا للخواجه فريديرك مراد الذي تبرّع بأكثر أرض شارع جمال باشا وأرض جامع الجابي الجديد الذي انشأه قائد الموقع باسمه.

ثم قدّم لهما طبق من فضة عليه تمثال هرم كبير من الحلوى فابتسما لمغزاه واستلّ القائد خنجره وقدمه لهما فأخذ كل منهما قطعة منه وأدير على الحاضرين. ثم نزلا إلى ساحة السراي فأخذ المصورون رسم الحفلة وأنشد الشيخ أحمد الطريفي بعض أبيات بصوت رخيم ثم ركبا السيارات محفوفين باليمن والإقبال ووجهتهما بيت المقدس فمرّا أيضاً تحت أقواس نصر أخرى جمعت خلاصة الفن والأبهة.

ومما يذكر أن دولة أنور باشا تبرع بمبلغ لفقراء البلدة وأنه أعجبه برتقال يافا الشهير فأوقف سيارته أمام أحد البساتين في طريقه إلى القدس ودخل مع دولة جمال باشا وقطع بيده مقطفاً من البرتقال ونفح خادم البستان بضع ليرات عثمانية تلقاها هذا بالدعاء ولا عجب بهذه الأخلاق الرضية والجود والكرم فالعظيم عظيم في كل أمر.

وبينما كان أنور وجمال بيافا بين دقات القلوب سروراً وابتهاج النفوس فرحاً كان أهالي القدس منتشرين في جهة بزوغهما إلى مكان مقرهما مقر الجيش المظفر مائة ألف أو يزيدون وبينا نحن في السرادق المضروب لاستقبالهما إذا بضجة صعدت للسماء وهتاف بصوت واحد ليحيَ أنور وجمال فهرع القوم جميعاً وإذا بالبدرين قد بزغا من مطلع الأفق على سيارتهما وعرجا على السرادق هنيهة ثم استأنفا السير بين أقواس النصر وصفوف الأهلين على اختلاف عناصرهم ومذاهبهم رجالاً ونساءً وأطفالاً وطلبة مدارس على طبقاتها ومشاربها والاعلام بأيديهم يحيون أعظم من يحبون. مرّت سيارتهما ورفقاؤُهما تخترق الطريق بين تصفيق الرجال وهتاف الأطفال وزغاريد النساء حتى وصلا إلى المقر العسكري العالي.

لم يقم الأهالي بهذا الاحتفال النادر خوفاً أو رياءً ولكنه الإحساس الوطني الحي والقلوب والنفوس التي تعشق أنور وجمالاً عشقاً عُذريًّا ومن لا يعشق النور والجمال ومن لا يحتفل بمحيي حريته ومؤسسي سعادته ولقد رأيت بنفسي امرأة قروية جاءَت مندهشة هائجة تخترق الصفوف وهي تزغرد وتقول (اروني أنور اروني ولدي وحبيبي انني سامحته في أولادي الموجودين تحت السلاح فليموتوا فداءً له وللوطن) قال الراوي: فبكيت أنا والله شهيد ورأيت قروية أخرى فاتتها مشاهدة أنورنا تتأسف وتعض يديها ندماً لعدم حضورها ملاقاة هذا البطل ورؤيته كأنها فاقدة أنجح أبنائها. هذا لعمري هو الإخلاص الحقيقي والشعور الصحيح والحب الخالي من التصنّع والمداجاة لأنه شعور قروي طبيعي لا أقول أنه الوفاء العربي ولكنه الإخلاص العثماني الخالص.

كان وصول أنورنا وجمالنا ورفقائهما عصر الجمعة فتناول طعام العشاء ليلة السبت في مقر الجيش الرابع وفي صباحه اجتمع أركان الحكومة والعلماء والوجوه وكل مذكور في دار الحكومة وركبوا العربات وساروا نحو المقر يقدمهم مدحت بك متصرف اللواء حتى وصلوا المقر وتشرفوا بالسلام على أنور الأمة وجمالها مصافحةً بالترتيب وهما يستقبلان الزائرين بالطلاقة والبشاشة وقبل الظهر تناولا طعام الغداء ومن معهما في مقر الفيلق الثامن بدعوة جمال باشا قائده المبجل ومن هناك زارا الحرم القدسي فبدءا بالصخرة المشرفة حيث سمعا بعض الآيات الكريمة وبعد أن صلى أنور باشا ركعتين تحية المسجد سارا يحف بهما العلماء والأشراف إلى مسجد الأقصى الجامع وصلى هناك أيضاً ركعتين وعندئذ تقدم خطيب الشرق الشيخ أسعد الشقيري وأبان لحضرة القائدين العظيمين فضائل الحرم القدسي والأحاديث الواردة في شرفه وهناك قدّم لدولة القائد العظيم كامل أفندي الحسيني مفتي القدس نسخة من فتاوى الأنقروي كتبت منذ مئة وثمانين سنة لتكون تذكاراً في خزانة كتب أنور العثمانيين.

وبعد أن زار حضرات قائدينا العظيمين الحرم الشريف ذهبا بموكب حافل إلى الكلية الصلاحية فاستقبلهما مديرها ومعلموها وطلبتها وبعد أن جلسا في بهوها الكبير قرأ تلميذ بعض الآي الكريمة ثم قرأ أحد المعلمين خطاباً عربيًّا ثم استعرض الطلبة استعراضاً عسكريًّا رياضيًّا فأبدعوا وأدهشوا ثم تلا أحدهم قصيدة تركية العبارة وآخر قصيدة باللغة الألمانية الفصيحة كأنه من إحدى مدارس برلين لهجةً وحركةً وإشارة وهذا ما زاد الدهشة وأطرب ضباط العسكرية الألمانيين وجعل للحفلة رونقاً وبهاءً ثم ختم تلميذ آخر الحفلة بخطاب تركي.

ثم زارا مقام نبي الله داود ﷺ ثم عطفا على كنيسة القيامة فزاراها ومن يصحبهما من القواد والضبّاط الألمانيين والنمسويين وقد تبرّع دولة الأنور لها بمائتي ذهب عثمانية بعد أن وهب لخدمة الحرم الشريف خمسين ذهباً ليعلّم الناس أن هذا الدين الإسلامي القويم يحترم الشعائر والمذاهب لا تعصب فيه



أنور باشا وجمال باشا في الكلية الصلاحية في القدس الشريف

وان الدولة أيدها الله تساوي بين عناصرها وطوائفها وكنيسة القيامة هي التي دخلها سيدنا عمر وصلاح الدين وفي عصرنا دخلها أنور سيف الإسلام وفي تلك الليلة ليلة الأحد تناول القواد العظام طعام العشاء على حساب المجلس البلدي في نزل فاست الكبير وكان المدعوون ستين شخصاً من أركان الحكومة والعلماء والأدباء مع ضيوفنا الكرام وفي أثناء الطعام صعد الشيخ علي ريماوي من فضلاء[1] القدس وقال: لو كنت طويلاً لوجب عليَّ أن أتقاصر أمام عظمة حضرات قوادنا العظام وضيوفنا الكرام ثم أنشد قصيدة طرب لها الحاضرون جدًّا واستخفّت طرب الأستاذ الشقيري حتى استعاد أبياتها مراراً ثم تلا الشيخ سليم اليعقوبي من أساتذة يافا قصيدة غرّاء ثم خطب خاتماً الحفلة جميل بك النيال مدير الأوقاف والكلية الصلاحية خطاباً تركيًّا.

وبعد الطعام ركب القائدان الجليلان ومن معهما سياراتهم إلى المقر العالي تاركين طلبة الصلاحية يتجولون بالمصابيح والمدينة كلها نور وفرح وسرور وفي صباح الأحد سار أنور باشا وجمال باشا ورفقاؤهما إلى جهات بئر السبع ويوم الثلاثاء رجعا بالعز والإقبال وبين بئر السبع والخليل وقفا ساعة حيث استقبلتهما قطعة من الجيش المرابطة هناك ثم عطفا على مدينة السيد الخليل ﷺ وزارا أضرحة الأنبياء الكرام وشربا الشاي في دار الحكومة وركبا إلى بيت لحم حيث وُلد السيد المسيح ﷺ وزارا المغارة ومن هناك رجعا إلى القدس بين الهتاف والتصفيق.

وصباح الأربعاء توجه قائدانا العظيمان إلى أريحا على السيارة فشيّعهما الأهالي والقلوب بأجل مظاهر التشييع والوداع وبعد الغداء في أريحا على حساب بلدية القدس سارا على طريق عمَّان حيث ركبا القطار إلى مدينة الإسلام والسلام صلوات الله على ساكنها.

وكان الاستقبال في أريحا جميلاً قام به جميع العشائر المخيمة حول نهر

---

(١) اعتمدنا على ما كتبه هو لنا بهذا الشأن عن القدس وأكثره من عباراته وعلى ما كتبه مكاتب المقتبس في يافا وعلى مصادر أخرى جديرة بالثقة.

الأردن بالسلاح والخيول المطهمة ومشايخ الطرق والزوايا بالاعلام والطبول ثم جاءا إلى السلط فنصبت السرادق والخيام وأقامت بلدية السلط ضيافة شاي وكان جميع عربان السلط وأشرافهم وطلبة مدارسهم يردّدون الأناشيد والألحان والرؤساء والقبائل يظهرون للقائدين شعائرهم وعواطفهم. ومن السلط ركبوا السيارات أيضاً إلى عمان حيث استعرض الجراكسة سكان تلك القصبة بخيولهم ومنها ركبا القطار إلى المدينة المنوّرة.

هذه إجماليات المكاتبين والذي علمناه من مصدر يركن إليه ان دولة القائد لمّا وصل إلى خليل الرحمن استقبلته المشايخ وأرباب الطرق وترجّل دولته مع جمال باشا حتى وصل إلى المسجد الابراهيمي وهناك وقف العلماء أمام ضريح جد الأنبياء سيدنا ابرهيم الخليل عليه السلام فتلي ما تيسر من القرآن وأدعية ظهرت عليها علائم القبول وزار تربة سيدنا اسحق ويعقوب ويوسف وجميع المشاهد وصافح العلماء والأتقياء ونال حظًّا كبيراً من أدعيتهم وأحسن إلى الفقراء بصدقة عظيمة وسار والعز يشيعه إلى قصبة بيت لحم وهناك وقف له رؤساء جميع الملل والطوائف غير المسلمة مع الجند السلطاني فاستقبلوا دولته أعظم استقبال وأبهى احتفال واسترحموا منه أن يروه كنيسة الولادة فدخلها إجابة لدعوتهم وكان الرؤساء الروحيون بملابسهم الكهنوتية وضربت له النواقيس واجتمعت الطوائف على اختلاف أجناسها وأعمارها وأوقدت الشموع والقناديل داخل الكنيسة ودعي للدولة والجيش فخرج وأحسن بصدقة عظيمة أيضاً على فقراء الطوائف ثم جاء القدس وقت الظهر فتناول الطعام في المعسكر في جبل الطور وكانت ضيافة القدس في العودة مما أقامه روشن بك مفتش المنزل وتكلّم في تلك الضيافة الشيخ أسعد الشقيري على حديث نبوي خاطب فيه الرسول سيدنا علي بن أبي طالب بقوله أنت سيد المسلمين ويعسوب الموحدين وإن السيادة التي كانت لعلي بسبب حفظه لكيان المسلمين وحرصه على إقامة شعائر الدين وقيادته للجيوش الإسلامية واجتهاده في الفنون الحربية وحصول الظفر على يديه فنال السيادة بالعزم والحزم والجهاد والسيف ومضى راضياً مرضياً وإن أنور باشا في عصرنا يحق له السيادة على الإسلام

بسبب ثباته على مسلك الدين وأتباعه لشريعة سيد المرسلين وجهاده في طرابلس الغرب وفي مواقع الحروب وتنظيمه الجيوش وأخذه على عاتقه القيادة العامة وشخوصه بالذات إلى هذه الولايات لتفقد الشؤون العامة والنظر في الجيش. وذكره بما ذكر له مع جماعة العلماء ما أجراه القائد العام أحمد جمال باشا من الإصلاحات وحمد الله على أن الباشا رأى آثار أخيه جمال باشا رأيَ العين حتى أن أنور باشا صرّح بأنه رأى من هذا القبيل فوق ما سمع.

أما تبرعات أنورنا في لواء القدس فكثيرة منها للفقراء ومنها لكنيسة القيامة ومنها لخدمة الحرم القدسي ومنها لخدمة السيد الخليل ومنها لبعض المساتير والعلماء والأدباء وكذلك كانت تبرعاته لأهالي لواء عكا.



هناء اللقاء

قصيدة الشيخ علي ريماوي المقدسي

يا مرحبًا بحبيب الشعب (أنوره) و(بالجمال) جمال السمر والقُضُبِ
مذ قيل أنورُ روح الشعب في حلبٍ قد ماجت القدس من صفوٍ ومن طربِ
ترى النفوس على طول القطار له من شدّة الشوق ملقاة على القُضُبِ
بها انتظاراً إلى ميمون طلعته ما بالقطار من التضرام واللهبِ
زيارةٌ ملأت سورية فرحاً من العريش إلى حمص إلى حلبِ

* * *

يا محييَ الشعب من عُدْمٍ ومن عَدَمٍ ومنقذَ الشعب من ضيق ومن كُرب
شعب بك اليوم قد شُدت عزائمه وكان مَيْتاً على يأسٍ من الأربِ
لم ينسك الوفد بل لم ينس ما فُطرت عليه سيماك من لطف ومن أدب
قد زار جيشك في ساحاته فرأى أُسْدَ العراك بغيل المعقل الأشِبِ
لله جيشك والرحمن ناصره فقد تسامى على الجوزاء والشهب
جيش تألف والإسلام رايته من خيرة العنصرين الترك والعرب
سارت بجحفلة الأقدار تَقَدَّمُها ملائُك الله فوق الخيل والنُجُبِ
تسربلت بدروع الوحي واعتقلت من نبعة النور أطراف القنا السُلب
معتادة الطعن من بدرٍ ومن أُحُدِ أليفة الضرب في حرب وفي حَرَب
حرابها من ظُبى التقوى واسهمها من قدرة الله لا نبع ولا غرب

جيش لـه ينظـر الإسلام قاطبـة ... من منتهى القُطب الأقصى إلى القُطب
أجاب صوتك منه كل غالية ... من النفوس إذا الأشباح لم تجبِ
لو مكنته العدى والدهر ذو غِيرٍ ... لَبَّاكَ من كل صوب منه أو حدبِ

* * *

لبيك لبيك إن رمت الجهاد لنا ... هذي النفوس فخذ ما شئت وانتدب
هي القناة فلا تحفل بمنعتها ... في يمن جيشك سر النصر والغلب
وما العدى غير اخلاط مجمعة ... حول القناة وانصاب من الخشب
قالت سأرحل عن مصر وما رحلت ... قالت أثوب إلى عدل ولم تثب
كم عاهدتنا وكم عهد لنا خفرت ... وكم تعدت وكم باتت على صخب
موسى وأنت على رأي وعاطفة ... كلاكما عجب من أعظم العجب
هذاك أنقذ مصراً من فراعنها ... وأنت تنقذها من دولة الكذب
صادقت من أمة الألمان إذ صدقت ... والنمسويين خير القادة النجب
من كل شهم وفيّ العهد صادقه ... وكل ليث قويّ الساعدين أبي
جاسوا ديار الأعادي وهي حافلة ... فأصبحت مثل ربع دارس خرب
يردها (هِنْدِنْبِرغٍ) من هنا وهنا ... كأنها كُرةٌ في ساحة اللعب

* * *

تِهْ يا جمال إذا ما شئت مفتخراً ... على الزمان بمعنى جيشك اللجب
لم يحو جيش كما يحويه جيشك من ... قوى الكفاح وفضل العلم والأدب
يختال في الزَرَدِ المسرود تحسبه ... ليوثَ غابٍ وقد باتت على سَغَبِ
ينحو القناة ولم يبرح ينازلها ... حتى تَخُرَّ العدى جثياً على الركب
اذكرتنا زمن الفاروق من قدم ... كلاكما ناصر الإسلام في الحقب
وأنت لله ما أحلاك من بطل ... يا قائد القول قول الفيلق الحرب
أنت الجمال لجيش الله فارمِ به ... جيش العدو لدى استحكامه تصب

* * *

يا واهب الذَهبِ الإبريز من كرم — هذي هباتك عني قط لم تغب
وضعتها[1] عند قلبي حيثُ أنتَ بِهِ — كيما تكون بمرأى منك عن كَثَبَ
دقاتها في سماعي من لطافتها — أحلى من العود بين الزهر والحبب
في كلِّ ساعةٍ وَقتٍ دار عقربُها — لا بُدَّ أنظرُ فيها نظرة الطرب
لا رغبة في حلى الدنيا وزخرفها — لكن لحبك عندي فهو مطلبي
وكي أرى الهبة لممدوح واهبها — واسم العظيم العلى المنقوش بالذهب
فاسلم ودم زينة الدنيا وبهجتها — وقائد الشعب تُنْجيهِ من العطب

* * *

(١) يشير الناظم إلى الساعة الذهبية التي اهداه إياها بطل العثمانيين أنور باشا لما كان من جملة الوفد العلمي السوري الفلسطيني في دار الخلافة.



قصيدة الشيخ سليم اليعقوبي اليافي

في بطل الإسلام أنور باشا

هذي فلسطين فازت عربها بكم يا «أنور» الناس من ترك ومن عرب
واصلتها اليوم، فافترَّتْ مباسمها كالخود، تفتر يوم الوصل عن شنب
أنت الذي لم نجد في خلقه عوجاً ومن كأنور في خلق وفي أدب
لك المروءةَ خلقاً، والتقى خُلقاً، والمرء بالخلق لا بالدر والذهب
لولا تقاك، وما أوتيت من شمم لمزَّقَتْنا بنو الأوثان والنُصُبِ
يمناك فيها - وحسبي باليمين هدى - يراع حزم، وفي يسراك ذو شطب

* * *

عما قريب، بفضل الله تسعفنا (بفتح مصر) وما في الفتح من ريب
آياته ظهرت بالحزم فابتسمت لها الثغور، ابتسام القلب بالطرب
حسبي وحسبك، ان «الروس» في فشل والانكليز ومن «والاه» في هرب
باءوا بذل كما شئنا، وخزيهم في «الدردنيل» دليل غير ذي كذب
إني رأيتهم - والحرب قائمة - ما بين مضطرم منهم ومضطرب
أودى بهم بمواضٍ غير مغمدة جيش ابن عثمان جيش المجد والحسب
يا نِعْمَ جيشاً، يهز الدهر صارمه والجيش إنْ صال هزَّ الدهر بالقُضُبِ
هو الذي لم يَدَعْ في الحرب من أحدٍ من العداة، بلا قتل ولا سلب
ذو عدة لست احصيها، وأي فتى يحصي النجوم بأفق غير ذي سحب

يممت ساحاته في الدردنيل، فما الفيت فيها كمياً غير ذي أهب

آساده لا تهاب الموت يوم وغى بالمرهفات، ولا تخشى من الوصب

قوية الجأش لم تعبأ بمرتفع من البغاة ولم تحفل بمنتصب

فازت بآمالها في الدردنيل وفي أرض العراق وفي قفقاس بأرب

روحي فداءٌ لتلك الأسد ما صحبت في ساحة الحرب قلباً غير مكتئب

تُطْوى لها الأرض طياً في الحروب وكم تُطوى لها الأرض من بِيدٍ ومن كُثُبِ

الله يعلم أنّي لست أكذبكم في وصفها القول في شعري وفي خطبي

* * *

أنعم بجيش أعز الملك فانطلقت بمدحه ألسن الأقلام والكتب

لله (أنوره) المقدام من شهدت بحزمه الخلق من نجب ومن نحب

ذاك الذي صُغْتُ شِعري في شمائله والشِعر في مثله ضَرْبٌ من الضرب

ومدح أنور فرض لست أجحده أيجحد الواجبات الشاعر العربي؟؟

هل مثله في ربوع الحزم من رجل أصمى العداة بشهب الويل والحرب؟؟

كلا فأنور ثاني اثنين حزمهما كالشمس رأد الضحى في الأفق لم تغب

* * *

بطل الوطن جمال باشا

أما (جمال) وحسبي أن أصوغ به ... آيات شِعْري فذو مجدٍ وذو حَسَبِ
ليث العرين نصير الملك (أحمده) ... ومن كأحمد رب البيض واليَلَبِ[1]
يُسْدي لنا الخيرَ والخيرُ الجميلُ إذا ... أسداه أودى بِلَيلِ البؤس والعطب
شهم بسالته في الشرق ناطقة ... بأنه خير شهم غير ذي لغب
أعاد للعلم - دوراً - بعدما سلبت ... في القدس والناس في لهو وفي لعب
ومدَّ من سوريا - خط الحجاز - إلى ... قرب العريش بأيدي جيشه اللجب
وانشأ السبل في بيروت محتسباً ... وفي دمشق وفي يافا وفي حلب
وأرخص العيش للشرقي في زمن ... فيهِ بنو الغرب في بؤْس وفي سغب

* * *

(جمال) أنت أخو جيش لبانته ... صدّ العداة وردّ الشهب بالشهب
للنيل فيك على رغم العدى أملٌ ... وللقنال رجاء فيك لم يَخِبِ

* * *

بالله (أحمد) أَنجز ما وعدت بهِ ... من فتح مصر وأخذ النيل عن كثب
فالانكليز أهان المسلمين وفي ... تلك الديار سقاهم أكؤس النُوَبِ
وجدّد العدل في عهد (الرشاد) بها ... فالعدل مطلب المصري ومطلبي
ووطد الأنس فيها والسرور وخذ ... بضبع قوم أضاعوا الملك بالنشب
والله يوليك (فتحاً) تستعيد بهِ ... في (مصر) مجد الكرام الترك والعرب

---

(١) يَلَب: مفردها يَلَبَة الترس والدرع اليمانية من الجلد.



وكيل قائد الجيوش العثمانية في المسجد الأقصى وفي الحرم القدسي.

ترجمة خطاب حكمت أفندي

أمام أنور باشا وجمال باشا

يا حامي هذه الكلية ومؤسسها المحترم:

أيها القائدان العظيمان لجيشنا الباسل:

يا مفخر الأركان القويمة للدولة الأبدية القرار:

احترامنا لكم، والنصر معقود بلوائكم، والتوفيق متوقع على أيديكم. لولا صنيعكم أنتم ما أخذت هذه المدرسة ولا فتحت هذه الكلية وما ظهر إلى عالم الوجود هذا التجديد المنتظر للإسلام من مستقبل رفيع يحوي في مطاويه اليقظة والنهوض. فألف شكر ومنة لكم.

كانت ذكرى هذه المدرسة التي تدعى إلى اليوم باسم الصلاحية تعذب روح صاحبها المجاهد الشهير لأنها كانت إلى أمس تلقن البغي والعصيان بدل اليقين والإيمان. أسست هذه المدرسة دار علوم كبرى منذ زهاء ستمائة سنة وبعد أن كانت دار إرشاد وعلم تحوّلت إلى مركز مبشرين بالضلالة والعماية فكان صلاح الدين يضطرب في قبره للذي وقع لمدرسته. أنتم لما قدمتم هذه البلاد وجلبتم السعادة معكم وزرتم مرقده الشريف رأى روحه قريبة من روحكم فعرض لديكم جملة حاله وشكت مدرسته مما نالها من الاضطراب. وأنتم أيها القائد المبجل لما القيتم خطبتكم الأولى المهمة في الجامع الأموي قرب قبر صلاح الدين ذكرتم اسمه بأنواع الاحترام كأنكم تعهَّدتم له تعهدات في هذا الشأن حتى إذا شخصتم إلى هنا انشأتم هذه المدرسة فأدخلتم بصنيعكم

السرور على روحه كما أدخلتموه على العالم الإسلامي أجمع.

جاء صلاح الدين من مصر فأنقذ هذه الديار، وأنتم ستذهبون من هنا لتخليص ذاك القطر التعس. فنسأل الحق تعالى الذي منحه النصر والتوفيق أن يجعلهما رفيقيكما.

متى انتهيتم إلى أشهر دور علوم الإسلام وأعني به الأزهر المظلوم احملوا إليه تعظيماتنا وقولوا له قولاً لا شائبة فيه ان إخوانكم الأحداث الذين ولدوا في الحياة العلمية يقطعون اليوم المراحل في سماء الترقي، بالسير السريع على ما يقتضيه حال هذا العصر وهم عقدوا العزم أن يلحقوا بكم ويتتبعوا خطاكم.

جمع طلبة الصلاحية بين اسم صلاح الدين الأيوبي العظيم وبين اسم جمال باشا العظيم فكلاهما تاج ابتهاج لهذه المدرسة وكلاهما سراج وهاج في قلوب أهل الإسلام كافة. ولقد آلت مدرستنا على نفسها أن تذكر الأول كل يوم بالرحمة والترضي والثاني بالخير والاحترام. ستعيش الصلاحية بفضل هذه الأسماء الكبرى كما ستخلد لهذه الأسماء شهرة حسن الأثر. نحن قد دخلنا في مضمار الحياة وهذه غايتنا ومنتهى رجائنا: أن يتخرج طلبة يلقبون باسمكم العالي فإلى الله نتوسل أن لا يخيب أملنا.

استبشرت كليتنا بأن أولاها الشرف اليوم بزيارته هذا العظيم وكيل القائد الأعظم الذي عرفت الأرض عظم نفسه واشتهر اسمه اللامع بما قام به من الأعمال المجيدة في أكثر أرجاء الشرق والغرب وكلما ذكر يذكر بالإعجاب والاحترام. لا جرم أن قدومه والكلية في سنتها الأولى يوفر لها السعد والسعادة وسيكون تأثير زيارته إلى الأبد عاملاً من عوامل الارتقاء والشرف.

إن طلبة الصلاحية سيجعلون اسمه المحترم في أعز مكان من قلوبهم كما جعل ذلك كل فرد بل أمته برمتها ويعرفون أنفسهم بعد الآن إن لهم ارتباطاً بهذا الاسم العظيم عن أمم ولذلك فلنهتف كلنا معاشر الصلاحيين من فم واحد:

ليحيى حضرة أنور باشا وحضرة جمال باشا.

قصيدة الشيخ علي ريماوي القدسي

أرسلها بعد العودة لروح الأمة أنور باشا المعظّم

أبا النور والدستور يا أنور العلى ... عليك سلام الله والبركاتُ
سلاماً وتعظيماً وألف تحية ... من الشعب تهديها لك الأُسرات
عن القدس عن سوريةٍ وبلادها ... ومن ضمّت الأمصار والفلوات
إلى باعث الدستور بعد مماته ... وقد كان لا ترجى إليه حياة
سلاماً وتعظيماً لأعظم قائد ... تزاهى به الإسلام والغزوات
عليه من التقوى صلاحاً علائم ... ومن رونق الدين الحنيف سِمات
تباهت بيمناه السيوف وأشرقت ... بيسراه في محرابه السُبُحات

* * *

أبا النور يا نور الفضائل والذي ... تجلّت عن الدنيا به الظلمات
أتعلم أن الشعب يهواك كله ... وتفديك من أبنائه المهجات
وصلت إلى القدس الشريف وفي الحشا ... لبعدك أنفاس بها زفرات
وفي المسجد الأقصى خطبت فهللت ... مصلون وانهالت لك الدعوات
وبُشرت بالنصر المبين فصفقت ... أكف وسالت عندها العبرات
سروراً وأفراحاً فدم خير قائد ... تزان بك الإسلام والصلوات



في صحراء التيه

لم يترك وكيل القائد الأعظم حضرة أنور باشا دقيقة واحدة من وقته في سياحته تذهب سدى بل حصر وكده، شأنه منذ عُرِفَ، في النظر فيما له مساس باختصاصه الحربي أولاً ثم الإشراف على المسائل الأخرى في البلاد. أما وجيشنا المنصور على قدم الاستعداد اليوم للزحف على مصر وإنقاذها من براثن محتليها فإن بطلنا المحبوب زار صحراء التيه أيضاً لأنها الطريق الموصلة إلى القطر المصري ليرى هناك ما أحدث من طرق حديدية ومعبدة وآبار ارتوازية وأحواض مياه وحصون ومعاهد عسكرية تبلغ المقصود. فركب أعزَّه الله من مدينة القدس في سيارة هو ورفيقه أحمد جمال باشا إلى بئر السبع فأعجب بما رأى من الطرق المعبدة حديثاً الممتدة على طول الصحراء كما راقته تلك الآبار التي أُحدثت لجمع المياه وتطهير تلك الصحراء وأثنى الثناء الكثير على القائد العام في هذه الديار لتوفره على مد الخط الحديدي بهذه السرعة ووصوله إلى الحفير ثناءه على تمديد الطرق المعبدة في تلك المفازة المشهورة برمالها ومعاكسة الطبيعة لها.

ولما بلغ القائد بئر السبع استعرض العساكر المرابطة هناك وسر بحسن الانتظام والترتيب كما انشرح صدره بالصحة العامة بين الجيش.

حتى إذا وافى القائد بئر السبع تناول طعام الغداء في معسكر القوة السفرية الأولى ثم استعرض هذه القوة كلها والاي الاقنجي الآتي من المدينة

المنورة وفتش أنابير بئر السبع ومعاهدها العسكرية المختلفة وعاد إلى بئر السبع. وفي عسلوج افتتح شعبة السكة الحديدية التي انجزت حديثاً. والمسافة من القدس إلى بئر السبع ٨١ كيلومتراً ونصف كيلومتر ومن بئر السبع إلى بئر حسانا ١٧٢ كيلومتراً وهذه أهم المحطات التي يحاذيها الخط الحديدي وهي: القدس، بيت لحم، خليل الرحمن، ظاهرية، بئر السبع، عسلوج حفير العوجا، قصيمة، ضيقة، بئر حسانا. ويجتاز أماكن أخرى ولكنها غير مشهورة مثل بيربيرين بين حفير العوجا وقصيمة. وبفضل الطرق المعبدة مؤخراً تيسر أن يقطع المسافة بين بير حسانا وبئر السبع في العودة في مدة أربع ساعات وهذه الطريق عملت في مدة وجيزة وبهمّة كبرى ويرجع الفضل فيها إلى الجيش الرابع الذي جعل فيافي تلك الأصقاع طرقاً سالكة وكانت من قبل لا يسلكها الطير ولا تصلح لأنواع السير.

وتناول السائح العظيم طعام المساء في قصبة بئر السبع وأقام الآي المدينة المعروفة بالأقنجي في المساء زينات جميلة ولعب بعض أفراده ألعاباً خاصة بهم ومن الغد ذهب إلى بئر حسانا وهناك تناول الغداء بين المعاهد العسكرية المختلفة التي قامت بهمة عالية في برهة وجيزة فسرَّ من وراء الغاية بما شاهد من مضاء رجال الجيش وامرائهِ وضباطه وأفراده وفي المساء ركب السيارة إلى بئر السبع فقضى الليل فيها وقدمت عليه جميع العشائر والعربان المخيمة من قضاء غزة إلى حدود الترعو وأنعم عليهم واستمال بإحسانهِ قلوبهم ولعب تلك الليلة الاي الاقنجي - وهو الاي عربان الحجاز الذين أتوا من ضواحي المدينة المنورة لمحافظة السواحل - بين يديه بالسلاح وأنشدوا أناشيدهم باللغة البدوية يمدحون بها شجاعته وثباته وعلو موقعه في نفوسهم ويقولون انهم يهرقون آخر نقطة من دمائهم بين يديه فهش لهم وبش وأكرم مثواهم وأمر لهم كافة بضيافة جمعت أولهم وآخرهم وكان السرور بادياً على محياه بما شاهده من آثار إقدامهم وبسالتهم وما منهم إلّا من قبل يديه ومنهم من وقع على رجليه يقبلهما ومنهم من صافحه فكان ذاك من أبهج الأيام وأجمل المناظر تجلّت فيها المحبة الفطرية التي جُبِلَ عليها العرب باديهم وحاضرهم

للدولة العثمانية ورجالها الأمناء الصادقين وظهر كالشمس في رابعة النهار اننا أمة إذا عقدت عزمها على عمل عظيم وأخلصت النية في سبيل الواجب تنهض بهِ خير نهوض. ولعمري من كان يظن أننا في مثل هذه الحرب الزبون ونحن نجالد ونجادل في أربع ساحات للقتال كل واحدة منها مما تعجز عنه دولة عظمى بمجموع قوتها نوفق إلى إحداث ما أحدثناه من الطرق المختلفة والمعاهد والأوضاع والمرافق في طريق مصر؟ أما لو جئنا نعدّد هنا بالتفصيل ما تمّ على أيدي رجال الجيش الرابع من مثل هذه الأعمال فهذا يحتاج وحده إلى مجلد ضخم يجب أن يؤلفه أحد نوابغ أركان حربنا العلماء فلهم في هذا البحث نظر حديد ورأي سديد رشيد.

استعراض الجيش في بئر السبع

في المدينة المنوّرة

ركب أنور باشا وجمال باشا ومن في معيتهما القطار من عمان حاضرة البلقاء وما برح العربان المخيمون في لواء الكرك وما بعده حتى المدينة المنورة ينحرون الإبل شكراً لله على قدوم أنور باشا وهو أيد الله عزه يقابلهم ببشره ولطفه وينعم عليهم بإحساناته وصدقاته ويبدون عواطف العرب الخلقية نحو دولة الخلافة مما يمتعض له وجه الأعداء ويفرح به قلب الأولياء.

وفي طريق المدينة جاءَت البشرى من مقام الخلافة العظمى بتوجيه وسام الامتياز الذهبي والفضي الحربي إلى دولة جمال باشا قائد الجيش الرابع وصنو دولة أنور باشا وصديقه وذلك ان وكيل القائد الأعظم أنور باشا دهش مما شاهد من آثار أخيه أحمد جمال باشا فعرض ما شاهد على مسمع أمير المؤمنين فصدرت إرادته السنية بالإحسان إليه هذا الإحسان السلطاني جزاء خدمه الجلى في جانب السلطنة والخلافة وقد طير البرق هذا النبأ إلى الأطراف فسرَّ الناس على اختلاف درجاتهم وتصوراتهم إذ عرفوا أننا في دولة يكافأ فيها العامل ويعرف قدر المحسن في عاجل الحال وآجله فالحمدللّه على ما أنعم ووفق.

وبعد فلم يكد[1] ينتشر بين الأهالي في مدينة الرسول ﷺ خبر قدوم أنور

---

(١) من رسالة لمكاتب جريدة المقتبس في البلد الطيب ورسالة مكاتب الشركة الملية البرقية ومن مصادر أخرى رسمية وغير رسمية.

باشا وجمال باشا حتى عمّ البشر وسرى روح حياة في عروق الكل ولم ينتظروا أوامر الحكومة بل تقديراً لهذين البطلين المقدامين أخذ الكل يستعد من نفسه بما يليق بمقابلة سيفي الدولة العثمانية ومرجعي مجدها فلم تكن عشية أو ضحاها حتى أصبحت المدينة لابسة ثوب بهاء مجللة بستار من الزخرف يتخلل أزقتها أقواس النصر المغشّاة بالحرير الأحمر ترفرف على أعاليها الأعلام العثمانية فكنت أينما سرت وأنى توجهت تجد أثراً من الزينة يقيم لك ألف دليل على مبلغ مكانة الرجلين العظيمين من القلوب فقبضا على سويداواتها وتصرفا في ظواهرها وبواطنها فأصبح الكل رقيقاً لهما يقدم في محبتهما كل رخيص وغالٍ.

فانتدب محافظ المدينة مدير الصحة جمال بك ليكون مشرفاً على ذلك مساعداً للأهالي بترتيب زينتهم العظيمة التي لم يسبق لها منوال وانضم إليه في ذلك بشير بك مدير شرطة المدينة فكانا يعملان معاً في المرور على سائر الأزقة والشوارع فيجدان من همة سكان البلدة الطاهرة واعتنائهم بزائر الشفيع الأعظم أحسن مساعد لهما وأقوى عامل لم يحتاجا معهما إلى كثير تعب وكبير عناء بيد أنهما قاما بترصيع الزينة وتدقيقها حتى كان يتصور الرائي ان المدينة إن هي إلّا عروس تتهادى في حللها وتختال في حليها وبهرجها ولم تحن ساعة الهناء من يوم الجمعة المبارك حتى هرع الناس إلى المحطة أفواجاً وخرج إليها الرجال زمراً يهنيء بعضهم بعضاً متعاضدين متكاتفين كأنما طرأ عليهم عامل جديد أوجد بينهم ذلك الاتحاد فوفق بين وحدتهم وجمع شتيت كلمتهم يتقدّم الجمع أغوات الحرم الشريف بعبيدهم مدججين بالسلاح تتقدمهم طاستهم تضرب بصوتها الجهوري ثم حضرات خطباء الحرم النبوي الدائمون بآلاتهم ثم حضرات مؤذني الحرم النبوي لابسين شاراتهم المخصوصة بالآذان ينشدون الهمزية والبردة بأنغامهم الشهرية فكنت تسمع لأصواتهم طرباً ترتاح له القلوب وتهتز به الأرواح ثم سادات المدينة وأعيانها ثم حضرات مشايخ الطرق يتقدمهم رئيسهم الأعظم السيد حمزة الرفاعي شيخ المشايخ ومقدم الطريقة الرفاعية ثم تلامذة المكاتب عامة يتقدمهم مدير المعارف والإعدادي حمزة

أفندي وصفي وجميع المعلمين حاملين أعلام النصر محلين صدورهم بقطع الحرير المزركشة ينشدون الأناشيد الوطنية الحماسية عربية وتركية مما كان له أعظم وقع في نفوس القوم.

وبعد برهة وصل القطار الخاص الذي يحمل الشهامة ويقل المهابة فرمقته الأنظار وتوجهت إليه القلوب فرشقتنا التفاتات أنورية ولحظات جمالية كانت لنا كَوَابِلِ حياةٍ أمطرنا فأحيانا وسحاب فضله سال علينا فأروانا ولم يكد يصل القطار إلى المحطة حتى حيَّته الحصون بالمدافع فكنت تسمع لدويها صدى ترتعش له القلوب حناناً وتهتز له الأفئدة تيهاً وسرعان ما تقدم مولانا شيخ الحرم عن نفسه ونائباً عن المحافظ ثم مدير الصحة ثم المفتي الشيخ مأمون بَرِي ثم وكيل شيخ السادة ثم مفتي السادة الشافعية السيد زكي البرزنجي ثم عَينُ أعيان المدينة السيد زين العابدين المدني الذي كان له القدح المُعَلّى بنيل رضا الأنورين وحيازة الثقة عندهما وبعد أن ازدحم الجميع أمام البهو المعد للوزيرين تحية مُعْتَرِفٍ لهما بخدماته للإسلام مقدراً لهما صنيعهما حق قدره ثم نزل القائدان ومعهما نجل أمير مكة المكرمة المحبوب الأمير فيصل بك وسرعان ما ذهب الجمع إلى الردهة المعدة لهم فتناولوا هناك القهوة ثم أُدير عليهم تمر الحلوى الذي وضعته الحكومة في الحجرة النبوية للتبَرّك تلك الليلة وبعد أن استراحا هنيهة قدم لهم في اثنائها شيخ الحرم سادات المدينة وأعيانها ثم قرأ حضرته خطاباً حيا به الوزيرين الكريمين ثم تلاه المفتي بخطاب جمع من البلاغة ما يدل على حسن اقتدار وحيث كان اليوم يوم جمعة وقد أزِفَ وقت الصلاة لم تتمكن من إلقاء الخطب التي كنا قد استعددنا لها والقصائد التي أنشئت تحية لقدومهما بل اكتفينا بتقديمها درج كتب للزائر الكريم ثم بعد برهة صدر الأمر العالي بالتوجه للحرم الشريف فخرج مدير الصحة جمال بك وبشير بك مدير الشرطة من باب المحطة فأمرا مشايخ الطرق بالسير فساروا ينشدون الأناشيد المطربة مرتلين ذكر الله يحملون الأعلام الشريفة ثم مشى عبيد الأغوات يميناً ويساراً تتقدمهم الطاسة ثم السادة الأغوات كذلك ثم بعدهم أدلة الحرم الشريف ثم المؤذنون ثم الخطباء والأئمة

ثم المفتي وسادات المدينة وأعيانها ثم بقية الوفد السوري وهم الشيخ أسعد الشقيري والسيد أبو الخير عابدين مفتي دمشق ومصطفى أفندي نجا مفتي بيروت وكامل أفندي الحسيني مفتي القدس وأديب أفندي تقي الدين نقيب السادة الأشراف في دمشق يتقدمهم مولانا چلبي أفندي ثم فيصل بك المبجل ثم صاحبا الدولة الوزيران الكريمان تعلوهما المهابة ويحرسهما الجلال الإلهي قد تردَّيا برداء التواضع واضعين أيديهما على صدورهما كهيئة الواقف الذليل بين يدي الله ﷺخاضعين لذلك الجلال المحمدي والسر الأحمدي ثم يتلوهما رجال الشرطة والدرك محافظين على النظام ثم رجال الحرس ثم بقية المتفرجين ممن لم يرَ الرائي في المدينة مثل عددهم. اجتمع في محفل حافل وبينهم ألوف مؤلفة من العرب والقبائل جاؤوا للاحتفال بالقائدين العظيمين يكفي القول بأن الفسيح الذي كان مُحْتَمِلاً إياهم لدى وقوفهم بلغ طوله نحو المائة والعشرين متراً وعرضه نحو الثلاثين متراً بحيث لا يكاد الإنسان ينظر إلى أخيه ملتفتاً ثم سار هذا الحفل العظيم على ذلك الترتيب الغريب بكل رزانة وتؤدة حتى باب السلام النبوي فلما وصلا هناك ذبحت الذبائح من غنم وابل وتركت للفقراء والمساكين.

ولما اقترب حضرة أنور باشا من عتبة الباب أخذ المجاورون من أهل فاس والجزائر وتونس والهند وجاوه يقرّبون القرابين وكان نظره أثناء السير محدّقاً في الأرض خشوعاً والدموع تنهمل من عينيه فرحاً بالشرف الذي ناله بهذه الزيارة المقدسة فاقترب القادمان أولاً من الروضة المطهرة وأخذا يرددان الصلاة والسلام على الرسول الأكرم ﷺ ويقرآن الأدعية الخيرية ثم أقبلا على الروضة المطهرة فصليا سُنَّةَ تحيةِ المسجد ركعتين.

ولمّا مَثُلا أمام الضريح الأقدس يعلوهما الخشوع لذلك المقام ووقفا حيث الرحمات تترى والفيوضات الربانية تتدفق حيث تقف الروح في مركزها الأعلى فتستنشق هاتيك الروائح الطيبة فتتجرّد عن الكثافات وتتحاشى عن الدنايا فاضت العيون وسالت عبرات الشوق على الوجنات وهنالك عرف الكل تلك الصفات التي جعلت بطلنا الأنور وشهمنا الجمال يحوزان بها ثقة الأمة

ورضا الثلاثمائة مليون مسلم إذ كنت تراهما وقد ظهرا بمظهر الدين وترديا برداء اليقين راكعين لله ساجدين لعظمته أمام ذلك الجلال الرباني والنور الصمداني سائلين الله بجاهه أن يذلّل لهم كل عقبة وأن يسهل عليهم كل عسير وأن ينصر الجيش العثماني في كل التخوم لا سيما في الترعة التي سيحيا بعدها الإسلام حياة طيبة وينتشر رواقه في إفريقية ويسري نوره في المعمور.

ثم بعد ذلك رجعا إلى الروضة النبوية فأديا فريضة الجمعة الكبرى وكان الخطيب هو رئيس الخطباء في المسجد النبوي فبحث في خطبته عن فضائل المدينة المنورة وعن فضائل المصطفى عليه الصلاة والسلام وأخلاقه الشريفة وما تقوم به الحكومة العثمانية الإسلامية من الانتباه والتيقّظ ودعا الله أن ينصر خليفة الإسلام إلى الأبد ويؤيّد الجيش والأسطول مرفوعة أعلامهما مؤيدة كلمتهما.

ثم ذهبا إلى فندق دار السرور حيث أعدت الحكومة هناك بما يليق بمقام الزائرين العظيمين وكان ذهابهما إليه بمثل ما دخلا به إلى الحرم الشريف من الاحتفال الفخم والأعلام العثمانية وأقواس النصر البديعة ترفرف على الرؤوس ولم يستقر بهما الجلوس حتى أمر وكيل القائد الأعظم بالصدقات لتقسم على الفقراء فذبحت الذبائح في الحال وطبخت قدور الأرز في كل حي من أحياء المدينة ووضعت الحلوى أيضاً حتى اكتفى الكل ثم أخذت الوفود تفد على حضرتيهما فيقابلان الكل بما يمتلك القلوب ويريح البال ولما أزِفَ وقت العصر نزلا إلى الصلاة في المسجد النبوي وهكذا أدّيا فيه سائر الأوقات.

وبعد صلاة العصر لبس كل من حضرة أنور باشا وجمال باشا قفطاناً أبيض وطربوشاً أبيض وأخذا والسرور آخذ بمجامع قلبيهما يقومان بالمراسم الدينية والتعظيمات، وبعد أن خشعت القلوب وفاضت الدموع بعبرات السرور تشرفا بالدخول إلى الحجرة المباركة وأوقدا بالذات المصابيح ثم قبّلا بكل احترام ستار المرقد النبوي واستمدا من المولى بحضرة صاحب الرسالة العظمى عليه الصلاة والسلام أن يَمُنَّ بالنصر العاجل للجيش والأسطول السلطانيين وأن يبقي أهل الإسلام على الدوام سعداء مسرورين في عز

ورفاهية. وبعد أن أديا صلاة الصبح يوم السبت دخلا على تلك الصورة إلى الحجرة المباركة وأخذا بإطفاءِ القناديل بأنفسهما ووضعا بأيديهما مكانها مصابيح جديدة وتشرفا بكنس جوار السدة السنية وتنظيفها له ثم شخصا إلى جنة البقيع الكائنة في جوار الحظيرة المقدسة فدخلا المقبرة وزارا مراقد الأزواج الطاهرات وأهل البيت وسيدنا عثمان ابن عفان وأساطين المسلمين وأعاظم علمائهم فرداً فرداً.

ثم بعد العصر ذهبا إلى زيارة المحافظ في بيته فبعض المعاهد العسكرية ثم بعض المستشفيات العسكرية ثم أحييا ليلة السبت بالمدينة المنورة بذكر الله فجمعا مشايخ الطرق وقطعوا الليلة بذكر الله ثم قسمت الهبات الجزيلة من غنم وأرز وسمن ونقود بما جعل الألسنة داعية والقلوب شاكرة ثم في الساعة الرابعة من يوم السبت بعد أن زارا البقيع طلبا من شيخ الحرم أن يجمع حضرات أكابر العلماء ليلقوا درساً في الجهاد والوعظ فلبى النداءَ وأمر المفتي فجمع ستة من أكابر العلماء وهم مولانا الشيخ حمدان الونيس القسنطيني عين أعيان مدرسي الحرم النبوي ومولانا الشيخ خضر الشنقيطي وأخوه الشيخ محمد حبيب الله ومولانا الشيخ حسين أحمد الهند ولما التأم المجلس جلس المفتي مأمون بري أفندي بصفته شيخ علماء المدينة في صدر المجلس ثم جلس العلماء أمامه وعن يمينه كل في محله ثم جلس أنور باشا وجمال باشا متصفين بالخضوع فابتدأ المفتي بسرد أحاديث من صحيح البخاري شارحاً لهما بما يقتضيه الحال ثم تلاه الشيخ حسين أحمد الهندي مبيناً مزايا الجهاد مفسراً لبعض الأحاديث النبوية فتلاه الشيخ حمدان الونيس مفسراً لقوله ﷻ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ إلى آخره مبيناً ما يجب على المؤمن من معنى هذه الآية الشريفة ذاكراً من مناقب رؤساء الجيوش البرية والبحرية ثم تلاه الشيخ الخضر ثم أخوه ثم تلاهم حضرة الأفندي أحمد كمنحيلي مرتلاً لبعض آي الكتاب الحكيم بصوته المطرب ثم ختم الدرس مولانا السيد ابن الجعفر الكتاني بالدعاء مستمطراً فيض الله بجاه نبيه لنصر الجيش العثماني ثم قام الأستاذ الشيخ أسعد الشقيري فتكلّم على علم

الجهاد مصرحاً بأن جميع العلماء من فاس والهند والجزائر بحثوا أبحاثاً عالية في مشروعية الجهاد وفرضيته وما يجب على المسلمين من الطاعة والانقياد والجهاد بالأموال والأنفس ولكنهم لم يخوضوا في علم الجهاد وكيفيته ووسائله وهل نزل في القرآن ما يدلّ على هذا العلم. وأفاض الكلام على بعض الآيات التي لها تعلّق بالعلوم الحربية التي تقرأ في مدارسنا الحربية الآن كقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾. وقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾. وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾. وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾. وقوله: ﴿لا يقاتلونكم جميعا إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر﴾. وتكلّم على أن الجيوش الإسلامية في الصدر الأول انتصروا مرّة بالكم أي بكثرة العدد ومرّة بالكيف ومرّة بالعزم والحزم بلا كم ولا كيف وأورد على ذلك آيات كقوله تعالى: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾. وقوله: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ﴾. وكقوله: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾. وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وآيات أخرى أيضاً.

ثم ذكر للعلماء أن القائدين أنور وجمال منذ حداثة سنّهما درسا ما يلزمهما من علوم الدين في المكاتب الأولية ثم دخلا المدارس العالية واجتهدا في تحصيل علم الفنون الحربية وتعلّما علم سوق الجيش وترتيبه وتنظيمه وحفر الخنادق واتخاذ القلاع والحصون والاستعداد لآلات الجهاد الحديثة كالطيارات والمدافع الكبيرة والغواصات وتأمين خط الرجعة والمستشفيات الثابتة والسيارة ومقاتلة الأعداء بمثل قواهم وأشد منها وإن هذا العلم فرض من فروض الكفاية وأنه يرى بعد الآن داعياً لاجتهاد طلبة العلم الديني في المدارس في تحصيل مبادئ هذا العلم وان العلماء والطلبة إن تطوعوا مع المجاهدين يجب تلقي هذا العلم من القواد والضباط وإن إهمال تحصيله ضرر بالجامعة الإسلامية. فابتهج العلماء بهذا الإلقاء وصادقوا على أن الآيات القرآنية

والأحاديث النبوية كلها صريحة في وجوب هذا العلم ومكانته وأنهم سيجتهدون مع الطلبة بتحصيله في المدارس الدينية وأنهم لم يسمعوا قبل ذلك من خاض في هذا المبحث.

ثم توجّه الكل إلى الحضرة النبوية سائلين الله بجاهه أن ينظر إلى الجيش العثماني نظر رضا وأن يمده بجنود من ملائكته المقربين ثم خرجا مستعدين للرحيل.

وبعد صلاة الظهر في الحرم النبوي خرجا بعد التوديع مشيَّعين بمثل ما دخلا به من الاحتفال العجيب ولقد أمطرا المدينة برشَّةٍ من وابل فيضهما أحيت القلوب وأينعت بسببها الرياض القاحلة فدفع أنور باشا الفي ليرة للبلدية لتقسمها على الفقراء ثم مثلها لشيخ الحرم ليقسمها على خَدَمَتِه من علماء وخطباء وأئمة ومؤذنين وفراشين وبوابين وكناسين وأما جمال باشا فإنّ نفسه سخت بجلب عشر شاحنات من الحنطة لتقسم يوميًّا على الفقراء خبزاً فجزاهما الله عن جيران النبي خيراً وأرسل أنور العثمانيين بضعة ألوف من الليرات لتوزع على فقراء مكة المكرمة والقبائل المجاورة للبيتين المعظمين.

وأهدى الحرم الشريف مصحفاً من أغلى ما رأته العيوْن وأجمل ما خطته أنامل الخطاطين فرجع بالذكرى الحسنة والثواب الآجل إن شاء الله.

قال العلامة الشيخ أسعد الشقيري لدولة وزير العثمانيين أنور باشا بين المدينة ودمشق: دخل محمد الفاتح القسطنطينية وفي جيشه رجل من العلماء اسمه آق شمس الدين من مشاهير العلماء ومما يثبت لكم تعلّق الموحدين ومكانتكم من قلوبهم أنه بمناسبة زيارتكم المدينة المنورة وجد في معيتكم من آل الرسول ﷺ الأمير فيصل بك نجل أمير مكة المكرمة ومن يقلد الخلفاء من العثمانيين السيف عند توليهم مقام الخلافة في مرقد أبي أيوب الأنصاري مولانا چلبي أفندي وأكابر العلماء كمفاتي الولايات ونقبائها وهذا من مفاخركم التي لم تُسْبَقوا إليها.

وبعث مولانا أمير مكة المكرمة صاحب السيادة والدولة الشريف حسين يعتذر للقائد الأعظم على عدم تمكنه من زيارته في المدينة المنورة وأرسل

سيفين قديمين مرصعين بالجواهر والأحجار الكريمة هدية منه إلى أنور باشا وأحمد جمال باشا كما أهدى دولة الأمير أيضاً أعبئة وكوفيات وعُقُلاً لرجال معسكري أنور باشا وجمال باشا وقد مُنِحَ الشريف حسين من عواطف الحضرة السلطانية العلية نوط الامتياز الذهبي والفضي المخصوص بالحرب لما بذله في هذه الحرب من أسباب المروؤة والغيرة.



قصيدة محمد سامي برادة

إلى وكيل القائد العام الأعظم ناظر الحربية وبطل الأمة العثمانية صاحب الدولة والإقبال أنور باشا بمناسبة تشرف دولته ودولة أحمد جمال باشا ناظر البحرية وقائد الجيش الرابع بزيارة صاحب الرسالة العظمى واستمداده من روحانية مقامه الأسمي ﷺ

الله أكبر حان النصر والظَفَرُ ... والفتح قد ظهرت آياته الكُبُرُ

والجيش يَمَّمَ وادي النيل منتضياً ... بيض السيوف يُرَى في حدِّها شرر

من كل أغلب مقدام إذا اشتبكت ... يوم الكريهة فيه البيض والسمر

كأنه الليث أبدى ناجذيه فلا ... يثنيه عن عزمه خوف ولا حذر

بالأمس غادر جيشُ الكفر مندحراً ... في الدردنيل فولَّى وهو منذعر

وَرَدَّه خاسئاً بالذُلِّ مرتدياً ... يعدو غنيمته الخذلان والخَوَرُ

سل «بحرإيْجَةَ» عن أشلاء هالكهم ... تُنبِئْكَ عن حالهم في بحرها الجُزُرُ

كم من غريق قضى نحباً ومحتضرٍ ... تطفو بجثته الألواح والدُسُرُ

وآخر عَفَّرْتَ بالذُلِّ جبهتَهُ ... ينتاب جيفتَهُ المنقارُ والظِفرُ

* * *

واليوم وجهَتَهُ الجُلَّى وغايته ... تطهيره مصر من أرجاس مَنْ غدروا

فقد أعدَّ لهم مهما استطاع له ... مِنْ قوة ورباط الخيل إذ مكروا
وجاء يستصرخ الهادي بروضته ... مَنْ أصبحت في المَلا أيامُهُ غُرَرُ
مولى العُلى أنورُ الوضاءُ طلعتهُ ... ومَنْ به دولة الإسلام تفتخر
في مهبط الوحي والقرآن من زمن ... فيه تَنَزَّلَتِ الآيات والسُوَرُ
لا غرو أنْ أمَّ هذا القبر مبتهلاً ... يستمنح النصر حتى يأتِهِ الظَفَرُ
«ومَنْ تكن برسول الله نُصْرَتُه» ... لا شك في أنه يعلو وينتصر

* * *

فيا حليف الندى والمجد منفرداً ... ويا مبيد العدى والحرب تستعر
ها طيبة اليوم في أبهى ملابسها ... طابت بسامتها الآصال والبكر
أهلاً وسهلاً تناديك الربوع بها ... وأهلها كُلُّهُمُ والبدو والحضر
هَشَّتْ لمقدمك المحبوب تُربَتُها ... كأنما أنت في أحيائها مطر
أنقذت أمة هذا الدين من خطر ... قد كان يقضي عليها ذلك الخطر
منحتها العدل والشورى وكنت لها ... كهفاً منيعاً به تسمو وتفتخر
وصنتها من عدو طالما طمحت ... أطماعه لاغتيالٍ سَاقَهُ الأشِرُ
أذكَرْتَها زمنَ الصدّيقِ من حِقَبٍ ... أو يوم يَحْكُمُ في أرجائها عُمَرُ
فالدين والشعب والإسلام قاطبة ... راضون والحِجْرُ والأركان والحَجَرُ
والمصطفى جَذِلٌ في وَسْطِ حجرته ... قد سُرَّ من طيب ذكر نشره عطر

* * *

ويا سمير الحِجى في كل نازلة ... ويا منير الدُجى والخَطْبُ مُعتَكِر
هذا جمال لقد سارت كتائبه ... ظمآنة لورود النيل تبتدر
تجوب تلك الفيافي كالخضم له ... موج تلاطَمَ أو كالسيل ينحدر
هذا الوزير الذي جَلَتْ مآثره ... إنْ يُحْصِها العدُّ أو أن تَحْوِها الفِكَرُ
كم من يد أصبحت بيضاء ناصعة ... له بحلق يروي ذكرها الأثر

فبينما في ربى لبنان تنظره | إذ أمَّ بيروت منه صارم ذكر
يسعى وغايته الإخلاص مجتهداً | ودأبه الجد والتفكير والسهر

* * *

تلك المزايا التي خَصَّ الإله بها | قوماً هُمُ الناس إنْ عُدّوا وإنْ ذُكِروا
تلك السجايا التي لو أنّها قُسِمَتْ | بين البرية لم يحدث بها كدر
تلك المناقب إنْ عُدَّتْ فليس لها | عَدٌّ فتُحْصى ولا حَدٌّ فتنحصر
فاهنأ بما نِلْتَ من مجدٍ ومن شرفٍ | لا زال يخدمك الإقبال والقدر
واقبل تحية اخلاص يُخلِّدها | في ذكر أوصافك التاريخ والسِيَرُ



في العودة

عاد أنور باشا من رحلته من المدينة المنورة إلى دمشق توًّا وكانت العشائر والقبائل العربية في الإياب كما في الذهاب تحييه ورفيقه جمال باشا تحية الاحترام والإعظام وهو يخلع على أمرائهم وينفح فقراءهم والألسنة تنطلق بالدعاء له وللدولة الخلافة المعظمة وجاء دمشق فقضى فيها يوماً زار فيه بعض ما فاته من المعاهد وزار هو ورصيفه دار شفيق بك القوتلي من أعيان المدينة وكبار تجارها ونظرا ما عنده من التحف والعاديات فأهدى حضرته لأنور باشا كرسي مصحف كريم من العاج الثمين من صنع دمشق وأهدى جمال باشا آنية أثرية نفيسة تذكاراً لهذه الزيارة. وقد منح دولته ناظر الحربية في ذاك اليوم عدة عطايا انطلقت لها الألسن بالشكر ومن جملة ما أهداه مصحف كريم خطي لمدرسة دار الحديث الأشرفية التي يتولاها اليوم خاتمة المحدثين الشيخ بدر الدين الحسني وأهداه أيضاً سبحة نفيسة دليل صلة الود واحترامه للعلماء.

* * *

وكان يوم الثلثاء (٣ جمادى الأولى ١٣٣٤) من أجمل الأيام التي رأتها دمشق الشام صحا جوه وراقت سماؤه فبزغت الشمس منيرة بأشعتها المنعشة زينات الأعلام التي أقامها الدمشقيون احتفاء ببطلي الإسلام أنور باشا وجمال باشا وقد انتشر الناس في شوارع دمشق مع انتشار أشعة الشمس فغصت بالسابلة والكل وجهتهم طريق الربوة احتفالاً بوداع دولة أنور باشا وقد اصطف

الموعون من جميع طبقات الأهلين من نزل معسكر الجيش الرابع حتى جسر دار الذخيرة ومن أمامهم رجال الطرق العلية وطلاب المدارس الرسمية والخصوصية مع موسيقاتهم والجنود النظامية ومتطوعة القادرية والمولوية وطلاب مدرسة العسكرية مع موسيقاهم وطلاب مدرسة الصنائع مع موسيقاهم وطلاب مدرسة الدرك وشرذمة من فرسان الرولة وقد وقف أمراء العسكرية والملكية والعلماء والسراة ورجال الصحافة بانتظام أمام جسر الذخيرة وفي الساعة التاسعة زوالية سارت على بركة الله السيارة المقلة لدولتي البطلين من أمام الفندق الهوينا والموسيقات تحييهما والألوف المؤلفة من الأهلين الذين لا يدرك الطرف آخرهم تهتف لهما رافعين أصواتهم بالدعاء لهما وقد سارا على هذا المنوال حتى وصلا إلى جسر الذخيرة وهنالك وقفت السيارة فنزلا منها فحياهما الشريف السيد فيصل بك نجل مولانا أمير مكة المكرمة فعطوفة والي سورية ومن ذكرنا من الذين كانوا مصطفين هناك وتلا إذ ذاك أبو الخير أفندي عابدين مفتي دمشق دعاءً موجزاً دعا فيه للخليفة الأعظم وللبطلين الكبيرين وغيرهما ممن يخدمون دولة الخلافة بنية خالصة لله ورسوله وارتجل بعده عطوفة علي رضا باشا الركابي رئيس بلدية دمشق بضع كلمات شاكراً لهما باسم الدمشقيين ثم ركبا السيارة وسارا على بركة الله إلى بعلبك وهناك شيع القائد العام أحمد جمال باشا وناظر الحربية صديقه ورصيفه أنور باشا وكيل القائد الأعظم وناظر الحربية الجليلة فركب ضيف سورية القطار إلى حمص التي احتفلت بمقدمة الكريم احتفالاً عظيماً وتليت بحضرته بعض الخطب منها خطبة محمد علي أفندي مدير مكتب الاتحاد وقصيدة توفيق أفندي الأتاسي من فضلاء تلك المدينة وثلاثة أطفال خطبوا خطباً جميلة راقت السامعين.

قصيدة توفيق أفندي الأتاسي

هذا الجلالُ وهذه الأنوار ... قد أشرقت فلتهنأ الأبصار

يا ثغر سوريا ابْتَسِمْ أُنْساً فاف ... واه الهنا لثمتك والأقمار

والروض بَاكَرَهُ الغَمام بمزنِه ... زها وطاب وزانه النُّوَّار

والدهر وافى بالسرور وبالمنى ... وعلى الغصون تغرد الأطيار

يا حمص تيهي حيث زارك أنور ... ردءُ الخليفة سيفه البتار

وكذا جمال الدين والدنيا معاً ... قطبُ الوغى فَلَكُ العُلا الدوَّار

بدرٌ تلألأ في سماء بلادنا ... فاضاءَت الأنجاد والأغوار

حَسُنَتْ بمدحهما القوافي ... وتزينت بعلاهما الأشعار

فمهابة ممزوجة بلطافة ... دانت لها الأشرار والأخيار

طابت بك الأيام والدنيا بما ... فيها وطاب بذكرك الأخِبَار

عم البسيطة والبرية عدله ... فالخلق شخص والبسيطة دار

لا البيد بيداً إنْ يهم ونهضة ... نحو القنال ولا القِفَار قِفَار

ولقد درى السَكْسَون ان وراءَه ... خطراً تقاصر دونه الأخطار

ولكم له في أرض مصر مفاسد ... لِلَهيبِها في الخافقين شَرَار

وإذا طغى فرعون فيها واعتدى ... فعصي الكليم لواؤك الخطار

عَلَمٌ به نُصِرَ الهدى فكأنه ... علم النبي وحوله الأنصار

يا واحد الدنيا الذي بشبيهكم ... عقم الزمان وضنت الأدوار

أيدت دين الهاشمي فلم يضع ... لبني الشريعة عند سيفك ثار

يخشى مقامَكُمُ العدو وبَرَّكُمْ ... للمخلصين سحابة مِدْرار

لا زال أنور نوره بِسَمَا العُلا ... يزهو وفيه تزدهي الأبصار

وكذاك لا بِرَحَ الجمال جماله ... في الكون يسطع من سناه نهار

أيامه الأعياد وهي نواضر ... زهر وعودك في العلاء نُضَّار

وبعد أن سار القطار من حمص قصد حلب ومن هناك ركب قائد الجيوش الإسلامية القطار إلى الإصلاحية وعاد إلى دار الخلافة العلية عن طريق بوزانتي في السكة الحديدية وقد أبقى في القلوب آثاراً عظيمة من احترامه وإعظامه وزاد المعجبون بنبوغه وحسن بلائه في خدمة دولة الخلافة الإسلامية وكثر الداعون بطول بقائه والشاكرون بيض أياديه حفظه الله بدراً في سماء العَلاء منيراً وعاملاً على إحياء الدولة خطيراً بمنه تعالى وحسن توفيقه.

ملحق

فاتتنا بعض أشياء وقعت لنا أثناء تأليف الكتاب لأن من المواد التي طلبناها من أربابها لم تصلنا في أوقاتها مثال ذلك أننا ذكرنا صفحة ١٣ أنَّ والي حلب استقبل وكيل قائدنا الأعظم أنور باشا في حلب والحال أنه ذهب إلى الإصلاحية للاستقبال ولم نذكر أن القائدين أنور باشا وجمال باشا زارا قلعة حلب في جملة ما زاراه وتجولا في معاهدها وقلعة حلب أهم ما يجب للطراء على الشهباء أن يمتعوا أنظارهم بموقعها وجلالة تاريخها. وقد قدمت مدينة حلب لحضرة أنور باشا الأفخم تذكاراً لأهلها وولائهم وهو مشلح (عباءَة) صنع حلب فتكرم حضرته بقبول الهدية وأثنى على اختيار هذه الهدية لأنها من المصنوعات الوطنية وكان الحامل لها عن أهل حلب الشيخ كامل الغزّي من أساتذة الشهباء وفكري بك وكيل رئيس بلديتها.

قالت جريدة «فرات» جريدة ولاية حلب الرسمية ما تعريبه:

يوم تاريخي

طالما كانت تتوق نفوس الحلبيين وتتشوق لرؤية ذينك القمرين الباهرين بل النيرين الأكملين اللذين هما من دار آفاق السعادة مشرقين ألا وهما الهُمامان الكاملان المتجسمان من جوهر الحمية الدينية والغيرة الملية العثمانية حضرة صاحبي الدولة والإقبال أنور باشا ناظر الحربية ووكيل القائد العام

وأحمد جمال باشا قائد الجيش الرابع حقق الله آمالهما وقرن بالتوفيق مسعاهما. ذانك الرجلان اللذان اقتحما الأخطار وبذلا أنفسهما في سبيل رفع نير الذل والصُغار وجاهدا في حق جهاده إعلاءً لكلمة الدين ورفعاً لمنار الإسلام والمسلمين فكان الحلبيون يعدون قدومهما عليهم نعمة عميمة ومِنَّةً من الله عظيمة، فلما حقق الله آمالهم بتشريفهما ومتَّع أنظارهم بنور جمالهما هاجت في صدورهم عوامل الفرح والمسرة إلى درجة لم يسبق لها نظير في التاريخ بحيث أنساهم فرط جذلهم وابتهاجهم بتشريفهما جميع ما هم عليه من الشدة فأصبح كل واحد من الحلبيين المخلصين يَوَدُّ أن يظهر عواطف محبته إلى ذينك الرجلين العظيمين ولو بتقديم شطر عمره إليهما لو كان يجد إلى ذلك سبيلاً.

والحق يقال إننا لم نر ولم نسمع قط بأن سكان مدينة حلب على اختلاف عناصرهم وتباين أغراضهم قد اتفقت كلمتهم وتضافرت قلوبهم على محبة إنسان وإعظامه واحترامه كاتفاقهم في ذلك على محبة هذين الذاتين ومدحهما وإعظامهما والفرح بقدومهما. ومن غرائب الصدف أن الغيث كان قد أمسك عن حلب مدة طويلة حتى بدأت أسعار الأقوات بالصعود وكاد اليأس والقنوط يستولي على النفوس فلما كان يوم الأربعاء وهو اليوم الذي شرف فيه حضرة المشار إليهما أصبح الجو متبلداً بالغيوم يَسُحُّ طلاً مرة ووابلاً أخرى إلى أن كان مساء ذلك اليوم انهمرت السحب بالأمطار الغزيرة التي لم يسبق لها نظير في هذه السنة فنال الناس بذلك اليوم الأغر مسرتين عظيمتين مسرة من تهطال المطر ومسرة من قدوم ذينك المحبوبين العظيمين واعتقدوا بأن الله سبحانه وتعالى إنما أنعم عليهم بهذا الغيث المدرار إيذاناً ببركة هذين المخلصين وتنويهاً بيمن نقيبتهما وصار كثير من الناس يتمثلون بقول الشاعر:

وابيض يُسْتَسْقى الغَمامُ بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وأغرب من هذا أن تشريف حضرتي المشار إليهما إلى حلب كان في نوء سعد السعود فقال الناس لا شك أن هذا السعد قد اجتمعت فيه السعود جميعها فهو حقيق بأن يسمى بهذا الاسم.

قصيدة الشيخ كامل الغزّي

في المأدبة التي أدبتها بلدية حلب لحضرة أنور باشا وجمال باشا

على الطائر الميمون أقْبَلتَ أنورُ ... وفي نجح مسعاك الأحاديث تُؤثِرُ
تَـرَدَّتْ بـك الـشـهـبـاء أفـخـر حـلـة ... وأضحت على كل الممالك تفخر
لـك الـمنـزل الـمـعـمـور فينـا وإنـمـا ... غـدا في قـلـوب الـمـؤمـنـين يَعْمُرُ
نـظـمـتَ مـن الإسـلام أسـنـى قـلادة ... وكـادت وأيْـمَ الـحـق لـولاك تـنـثـر
وخُضْتَ لحفظ الملك كل مَخْوَفة ... وجدت بنفس فضلها ليس يحصر
فهيهات أن تنسى الليالي ثنائكم ... وفـيـه الـكـرام الـكـاتـبـون تـذكـر
وكـيـف تـرى الأيـام مـحـو سـطـوره ... وفي كل صـدر مؤمـن منـه أسـطـر
فيـا معشر الإسلام بالفوز أيقنوا ... وبالفتح والنصر المؤزَّر أبشِروا
فـهـذا الـذي مـا زال يـسـهـر لـيـلـه ... إلى أن غدا صبح الأماني يُسْفِر
وهـذا الـذي مـا زال يـظـهـر لـلـتـوى ... إلـى أن أتـاح الله مـا هـو مـضـمـر
وَمُـدَّ عـلـى الإسـلام مـنـه سـرادق ... يُصانُ بـهـا ديـن الـحـنـيـفـي ويُنْصَرُ
فأنورنا في يمن طلعته نرى المـ ... ـآرب مـهـمـا عَـسُـرَتْ تـتـيـسَّـرُ
لـه هـمـة فـوق الـثـريـا مـحـلـهـا ... وعـزة نـفـس عـنـدهـا الـدهـر يـحـقـر
وفـطـنـتـه كـادت تـنـاجـي قـلـوبـنـا ... فـتـعـلـم منـهـا مـا تَـكُـنُّ وتـضـمـر
ومـا قـهـر الأعـداءَ بـأسُ جـيـوشـنـا ... ولَـكَّـن مـنـه الـحـزم والـعـزم يـقـهـر

وما النار اغريقية مثل ناره إذا ما غدت من فكره تتسعر

تشق عُبَابَ الدردنيل إلى حشا أساطيل أعداء عَتَوا وتكبروا

فعاثت بها حتى اضمحلت وأصبحت نفوسهمو بعد التكبُّر تصغر

وعما قريب يُحْبِطُ الله سعيهم ونربح مصراً والعراق ويخسروا

أيا واحداً صَحَّتْ جموع صفاته وأعداؤه جَمْعٌ ولكن مُكَسَّرُ

أراني مهما قلت فيك من الثنا فإني عمّا تستحق مُقَصِّرُ

وكيف أوفي مدحكم وجميلُكُم على عالم الإسلام ما ليس يُحْصَرُ

وساعَتُكُم عدل لسبعين حجةً وأجركم عند المهيمن أوفر

فلا زالت الأقدار طوع مرامكم ودامت أياديكم مدى الدهر تُشْكَرُ

قصيدة الأستاذ محمد بدر الدين أفندي النعساني

استاذ الأدبيات العربية في المكتب السلطاني بحلب

كسعيكما فليسعَ من يطلب المجدا ... فمن حاد عن نهجيكما اخطأ القصدا

أعَزْماً إلى حزمٍ ورأياً إلى هدى ... لقد جزتما من طاقة البشر الحدَّا

تداركتما الملك العظيم على شفا ... فاحكمتما في رفع بنيانهِ العِقْدا

فأصبح مأمولاً وقد كان آملاً ... وحَفَّتْ به الأقيال تسأله الودا

ومُلْكُ بني عثمان جسم وأنتما ... له الروح لا ذقنا لكم أبداً فَقْدَا

وأحْرِ بجسم كنتما فيه روحه ... إذا عرت الأجسام أن يلبس الخُلدا

رأى المجد رأياً فيكما فاصطفاكما ... فانعِمْ بما أولى وأكرِم بما أبدى

ولم يكُ فيما قد أتاه محابياً ... ولكن رأى في ذلك القصد والرشدا

أأنور لا ننسى مواقفك التي ... تشيب على أهوالها الأسَدُ الوَرْدا

مواقف أعشى كل رأي ظلامها ... فكنت برأي الفرد نيرها الفردا

فهل لك نفسٌ غيرَ نفسك هذه ... فأرْخَصْتَ فيها السَوم إذ تشتري الحمدا

فأي يدٍ تُحْصي أياديك جمة ... لقد ضل من أحصى النجوم ومن عدا

رأيتك في أجبال برقة قائماً ... يزين لك الاقدام خطبٌ بها اشتدا

جمعتَ قلوباً فرَّق الجهل بينها ... وألَّفْتَ منها في مجاهلها جندا

فكنت لهم في ظلمة الليل بَدْرَهُمُ ... وكنت هجير اليوم ظلًّا بها مدا

لطمتَ بأيديهم وجوه عدِّوهم فأجفل إجفال الظليم إذا ندَّا
فلو كان للطليان قلبٌ لحاربوا بهِ اليوم حرباً يفلق الحجر الصلدا
ولكن سلبتَ القوم أمسِ قلوبهم فما أن يرى من بعدها جندهم جلدا
ولو كنت يوماً بالتناسخ قائلاً لقلت ابن سرح في صحابته ردا
وليت فروقاً أُعْطَيَتْ فيك حكمَها فضمَّت عليك الجفن وادّعت الجحدا
ألستَ الذي دافعتَ عنها عدوها وارشفتها أمناً على قلبها بردا
رددتَ إليها حصنها وحدودها وكانت ولا حصناً يقيها ولا حدا
رفيقك في العليا جمال وإنما يعيبكما أن لا نرى لكما نِدًّا
أتى سوريا والخوف ملقٍ جِرانه بها فسقاها من طَمَأْنِينَةٍ شهدا
فَقَرَّتْ قلوبٌ غَابَ عنها قرارُها ونامت عيونٌ طالما شَكَتِ السُهْدا
أقام جنود الله في كل مخرم وقام بحسن الرأي من دونهم سدا
تحامت أساطيل العدو ثغورها وذلك أقصى جُهْدَ مَنْ فَقَدَ الجُهدا
يرى كتشنر[1] أن لاقناة حصينة لقد تمّ فيها الدست فلينظرِ الهندا
تبيّن ما قسويل ان حصونه وان عظمت جدًّا ستبقى لهم لحدا
فكاتب هاميلتون يطلب رأيه فأخبره أن الفرار لهم أجدى
مضى الوعد إن الله ناصر دينه وحاشا إله الناس أن يخلف الوعدا
فسيروا على اسم الله أنا أمامكم فقد لاح فوق الشمس طالعنا سعدا
فيا زائري الشهباء قد زارها الحيا بمقدمكم حتى غدا شوكها وردا
بكتْ فرحاً إذ بُشِّرَتْ بقدومكم وَرُبَّ سرورٍ بلَّ بالمدمع الخدا
رأيت قريضي خاملاً فرفعته بمدح علاكم فاكتسى بكم المجدا
ولم ابتكر في الشعر معنى وإنما نظمت لكم من دُرِّ أوصافكم عِقدا

(١) هو اللورد كيتشنر Hurbert Kitchner المندوب السامي البريطاني في مصر والسودان آنذاك.

صهر الخليفة

رفعت إلى معالي صاحب الدولة والإقبال

الداماو أنور باشا

بمناسبة تشريفه مدينة زحلة من نجيب أفندي حبيب ليان اللبناني

قل لي أأنت كما قال الورى بَشَرُ ... أم أنت وحيٌ من العلياء ينحدر

أم أنْتَ نور كما سمّوك أنورهم ... أم عاد فيك من الغازي لنا أثر

مالي أُسائل عنك الناس من وَلَهي ... وما جُهَينَةُ إلّا عندها الخبر

عِلْمي بشخصِك عِلْمُ العارفين بما ... لا سمع يُدرك معناه ولا بصر

نوّرتَ بين بني عثمان كلِّهُمُ ... كما يُنوِّرُ بين الأنْجُمِ القمر

حيَّاك ربُك يا من قاد جيشَهُمُ ... فعلم الجيش كيف الجيش ينتصر

إن الجنود إذا لم يَسْمُ قائدهم ... فلا رَقْيٌ يؤاتيهم ولا ظَفَرُ

ماذا عليهم وأنت اليوم سيِّدُهُم ... صِهر الخليفة واللَّيثُ الذي نظروا

يا يوم يَلْدِزَ حدِّثْني بما فَعَلَتْ ... جيوشُ أنور والنيران تستعر

وكيف كَرَّتْ على البسفور مُزبِدَة ... تروم نشرِ الأُلى في مائِهِ قُبِروا

وكيف مَادَ سريرُ المُلْكِ من جَزَعٍ ... لمّا رأى أنوراً في عينه شرر

عصمت يا عرش عثمان فليس هُمُ ... إلّا حُمَاتِك حول التاج قد زأروا

هم بنو والِدِ الأحرار مِدْحَتِهم ... أما تَراهُم إلى الأحرار قد ثأروا

جاؤا إليك ببشرى عمّ[1] أنورهم … أبي الفتوح «رشاد» من له غُرَرُ
هنأت مولاي بالعم الذي خَضَعَتْ … لهُ الممالك والتيجان والأُسَرُ
هل فوق فخرك فخر والشعوب لها … باسم الوزير مجال فيه تفتخر
حبيبُ مِدْحَتَ قد وُلِّيتَ مرتبة … لا ابن الوليد تولّاها ولا عُمَرُ
هذي صفاتك لا عَجَمٌ ولا عَرَبُ … ضاهاك فيها ولا بدوٌ ولا حضر
صعدت كالنسر لا صدَّتْك كارثة … ولا ثناك بإدراك العُلى خطر
وكم تلقتك أهوال وكم رجعت … وصدرك الرحب يقظان لها حَذِرُ
حياةُ مِثْلِكَ في التاريخ خالدة … بحسنها صفحات المجد تزدهر
ما قُلْتَ يا تُرْكُ هذي الحرب فاحتشدوا … إلّا وجاوَبَكَ الجَرمان والمجر
وقام من حولك الأبطال تحرسهم … من (الجمال) عيون دأبُها السَهَرُ
لو أنْصَفَتُه بحورٌ وهو (ناظرها) … لم يَبْقَ عن شخصه في قلبها دُرَرُ
تنمو صبابتنا فيه ولا عجبُ … فللجَمَال على ألْبَابِنَا صُوَرُ

---

(١) والأصل حمي ولكن تعمد وضعها الناظم إجادة.

فهرس المحتويات



